حوار القرآن مع المشركين

د. أحمد عبد الكريم شوكه الكبيسي

أستاذ القراءات والحديث المساعد، كلية الآداب جامعة إب ،الجمهورية اليمنية

ملخص البحث :

يهدف هذا البحث إلى معرفة أثر الحوار مع الآخرين (المشركين) ومكانته وعن مدى عَلاقته بالقرآنُ الكريم ، وتأكيد القرآن له بأنّه وسيلة ضروريّة وخطوة حضاريّة ، به تكرّس المبادئ الحقة . في حين أوضحت هذه الدّراسة أنّ أساس منهجيّة الحوار القرآني ، تنطلق من حقيقة الاختلاف بين البشر ، وما يستلزمها من حريّة لكلّ إنسان ، تدعوهم إلى الاعتراف بالغير واحترامه ، وعدم السّخريّة منه والاستهزاء به والطعن فيه، ممّا يقتضي قبوله كما هو ، وذلك بوساطة التبادل ومماثلة المعاملة للوصول إلى بلوغ غاية الحوار ، وهي الاتفاق على أساس يتمّ منه الانطلاق ؛ ولتحقق الثمرة المرجوّة وهي دخول المشركين في الإسلام ووضوح سماحة هذا الدّين الحنيف .

المقدّمة

الحمد لله ، والصّلاة والسّلام على رسول اللهِ ، وعلى آلهِ وصحبهِ ومَنْ والاه .. وبعد : فموقف القرآن الكريم من الحوار مع الآخر ، يُعدّ من أكثر المواقف إيجابيّة في دعوته ، وعليه اعتمد الدّين الإسلامي، حتى صار مفهومه من أكثر الأديان ترحيباً وقبولاً في هذا الشأن والذي يُمكن وصفه بدين الحوار . وهذا ما يدعونا إلى كيفية الاستفادة من فرصة الحوار وطرح الآراء مع الآخرين ولاسيّما المشركين بعيداً عن الإكراه والقسر ملتزمين بقوله تعالى : ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ ﴾ البقرة: ٢٥٦.

فالحوار يكتسب أهميّة بالغة في منظومة الدّعوة الإسلاميّة لأنّه أسلوب أصيل من أساليب الدّعوة ومَعْلم من مَعَالمها ، فله دورٌ كبيرٌ في تأصيل الموضوعيّة وردّ الفكرة المغرضة القائلة : (إنّ الإسلام دين القهر) ، وإنّه انتشر بالسّيف والتي يُروّج لها اليوم أعداء هذا الدّين الحنيف ، بل انتشر بفضل الله تعالى ومن ثمّ بفضل الحوار الهادف الذي يعني قبول التكافؤ بين مختلف الشعوب والأمم .

هذا وقد حفل القرآن الكريم نصوصاً عدّة حول الحوار ، يحضّ عليه وينوّه بقيمته ويُقدّم نماذج من الحوارات التي ينبغي أن يسلكها الدّعاة إلى الله مع مختلف أصناف المدعوّين من أهل الكتاب

والمشركين والملاحدة ومنكري البعث وغيرهم .

ومن هنا تتضح قيمة الحوار من وجهة المفهوم القرآني باعتباره نموذجاً يمكن في ضوئه الاقتناع بإمكان قيام حوار معاصر على نحو سليم ، وهو ما تسعى هذه الدراسة(حوار القرآن مع المشركين) إلى إبرازه وبلورته من خلال فصلين ..

الفصل الأول : يتحدّث عن تعريف الحوار ، وأهدافه وأسسه وأركانه ، وعن مقوّمات نجاح الحوار مع الآخر ذلك من خلال التعرّف على منهجيّة القرآن الكريم لهذا الموضوع ، وعن آدابه ، وأنوعه .

وأمّا الفصل الثاني : فعقدته لحوار القرآن مع المشركين ، وذلك انطلاقاً من الآيات والبراهين القاطعة ، وعن كيفية طرحها على هؤلاء وإقناعهم ودعوتهم إلى الاعتراف بوجود الله تعالى وتوحيده ، وإثبات النبوّات والرسالات ، وإثبات المعاد ، وذلك عبر المصطلحات والمفردات الدالة على كلّ واحد منها .

..هذا وتأتي بعدهما الخاتمة التي تلخص منهج القرآن الكريم في الموضوع باعتباره المصدر الأساس والدّاعي إلى التحاور عن يقين .. والحمد لله ربّ العالمين .

الفصل الأول .. التعريف بالحوار؛ويتضمن مبحثين:

أوّلاً : تعريف الحوار ..

❖ **الحوار لغة :** " أصله من الحَوْر ، بمعنى الرّجوع عن الشيء وإلى الشيء ، وهم يتحاورون أي: يتراجعون الكلام . والمُحاوَرة : مُراجعة المنطق والكلام في المخاطبة " .(1)

وفي الاصطلاح : " مراجعة للكلام وتداوله بين طرفين أو أكثر ، دون وجود خصومةٍ بينهم بالضرورة، ومنه التحاور أي التجاوب " (2) ، وهي ضرب من الأدب الرّفيع وأسلوب من أساليبه .

وبما أنّ القرآن الكريم قد ذكر نصوصاً حواريّة تدلّ على معنى الجدل ، نرى من الضرورة بمكان أن نلقي نظرة على تعريف الجدل ليتبيّن لنا مدى العَلاقة بينهما .

❖ **فالجدل لغة :** هو" اللدد في الخصومة والقدرة عليها " .(3) أي ما يدلّ على الشدّة والقوّة .

وفي الاصطلاح : " دفع المرء خصمه عن فساد قوله بحجة أو شبهةٍ ، وهولا يكون إلا بمنازعة غيره " .(4)

ويبدو لنا أنّ الحوار هو تبادل المعلومات والأفكار والآراء سواء أكانت تبادلاً رسميّاً أم غير رسميّ مكتوباً أم شفويّاً. وينعقد الحوار بمجرد التعرّف على وجهات نظر الآخرين وتأمّلها وتقويمها والتعليق عليها . ومن هذا المفهوم يمكن أن يطلق الحوار على تلاقح الثقافات بين بعضها الآخر وما يحصل من

جراء ذلك من تلاقي المتحاورين وتأثير وتصويب بعضهم لبعض . وقد ورد الحوار في ثلاثة مواضع من القرآن الكريم فحسب قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ ﴾ الكهف: ٣٤ ، وقوله: ﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ ﴾ الكهف: ٣٧ ، وقوله: ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾ ﴾ المجادلة : ١ .

وأمّا الجدل ففيه لدد في الخصومة ، ومنازعة في البيان وشدة في الكلام مع التمسّك بالرّأي والتعصّب له والجدل لم يؤمر به ولم يُمدح في الكتاب أو السنّة على إطلاقه ، وإنّما الممدوح منه ما قيّد بالحسنى أو بالحق .(5) قال تعالى: ﴿ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ النحل: ١٢٥ ، ﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ العنكبوت: ٤٦ فهو ليس من باب الدّعوة ، بل مظنّة التعصّب والإصرار على نصرة الرّأي بالحق أو الباطل والتعسّف في إيراد الشبه حول الرّأي الآخر وإن كان على حق. ويؤكد لنا هذا قوله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾ النحل: ١٢٥ ، إذ قصر الدّعوة على ذكر هذين القسمين ؛ لأنّ الدّعوة إذا كانت بالدلائل القطعيّة فهي الحِكمة ، وإن كانت بالدلائل الظنيّة فهي الموعظة الحسنة ، والدّعوة بحسب مراتب الخلق ، فالمستجيب القابل الذكي لا يُعاند الحقّ ولا يأباه: يدعى بطريق الحكمة . والقابل الذي عنده نوع غفلة وتأخر: يدعى بالموعظة الحسنة وهي الأمر والنّهي بالترغيب والترهيب . أما الجدل فليس من باب الدّعوة ، بل المقصود منه غرض آخر مغاير للدّعوة وهو الإلزام والإفحام ، فلهذا السّبب لم يقل ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة والجدل الأحسن ، بل قطع الجدل عن باب الدّعوة تنبيهاً على أنه لا يحصل الدّعوة وإنما الغرض منه شيء آخر .(6) وفي الحقيقة أنّ الجدال الحسن يتساوى في الحوار مع الأهداف والآداب ويؤدّي إلى النتائج نفسها ؛ لما تقدّم من قوله تعالى: ﴿ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ . وعلى الرّغم من الطبيعة المتشعّبة للحوار ، فإنه ليس دعوة في بعض الأحيان ، ولا مناظرة ، ولا مجادلة ، ولكنّه صيغة جامعة وأسلوب من أساليب التقارب والتجاوب والتفاعل ، فهو أعمّ من الجدل ..

لذا سيكون منطلق حديثنا في هذا البحث إن شاء الله تعالى ما يعني المراجعة في الكلام ، وأسلوب طرفي هذه المراجعة من وجهة القرآن الكريم ، ولا يعني حديث الخصومة ولا اللدد فيه أو الخصومة لذاتها ، إلا ما جاء مقترناً بالمحاورة .

ثانياً : أهداف الحوار..

إنّ الوقوف عند أهداف الحوار له أهميّة كبرى في تناول هذا الموضوع ؛ ذلك لأنّ الهدف ثمرة كل شيء والأمور بمقاصدها ، فمعرفة الأهداف يعني تحديد مدى نجاح الحوار ، فضلاً عن تحديد الهدف والذي يُعدّ الخطوة الأولى في كلّ محاولةٍ يريد أن يقوم بها الإنسان ..

1- معرفة أطروحات الطرف الآخر ووجهات نظره وحججه في القضايا التي هي موضوع الحوار

2- الوصول إلى الحق ، وترجيح أحد الآراء المطروحة وتضييق هوّة الخلاف وتقريب وجهات النّظر، وهو من أهمّ الأهداف ولاسيّما في هذا العصر الذي كثرت فيه الخلافات (7) ، ويحدّد هذا الغزالي بقوله : " أنْ يكون في طلب الحق كناشد ضالة ، لا يفرّق بين أن تظهر الضالة على يده ، أو على يد من يعاونه ويرى رفيقه معينًا لا خصماً ويشكره إذا عرفه الخطأ وأظهر له الحق " .(8) وبهذا يُمكننا تعريف الطرف الآخر بما يغيب عنه أو يلتبس عليه من المعلومات ووجهات النظر والبراهين في القضايا التي هي موضوع الحوار.

3- بيان الباطل الذي عليه الخصم ، والرّد على الشبهات والطعون الموجهة ضد الحق ؛ وذلك لإقامة الحجة على المخالف ، ولإظهار الباطل على حقيقته حتى يحذره الآخرون (9) قال تعالى:

﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾﴾ الأنعام: ٥٥ ، فلا بدّ من العمل على إقناع الطرف الآخر ليتخلص من وجهات نظره ومواقفه كليّاً أو جزئيّاً في القضايا التي هي موضوع الحوار ليتقبلها ويعمل على تبنيها بعد اقتناعه بها سواء بعد الحوار مباشرة أو تدريجياً .

4- العمل على استكشاف ما لدى الطرف الآخر من حقائق وإيجابيات والاعتراف بها وقبولها والاستفادة منها .

5- العمل على استكشاف ما عند المحاور من معلومات غير صحيحة أو دقيقة وممّا في وجهات نظره أو مواقفه من ثغرات وأخطاء والعمل على تداركها وإصلاحها ، قال الإمام ابن تيميّة رحمه الله : " إنّ كثيراً من أهل الكتاب يبلغهم الإسلام ولكن يمنعهم من الإيمان شبهات يحتاجون إلى أجوبة عليها " . (10)

6- تشييد جسر للتواصل السّلمي البناء وسدّ الطريق أمام المُواجهات والمُصادمات ممّا يبدّد الجهود.

7- إنّ الحوار يساعد على التوقد الذهني ، وهي صفة ملازمة لأجواء التحدّي الفكري والحوار المتبادل، وهو مفتاح للقلوب وطريق إلى النّفوس .

8- قد يؤدّي الحوار إلى إيضاح الحقيقة بالإضافة إليها ، فيعطي كلّ فرد ما يعرف من أجزاء الحقيقة حتى يمكن تركيبها كاملة وحتى صاحب الحق فإن أجزاء من الحق تبرز له بصورة أوضح أثناء توقده الذهني في لحظات الحوار .

9- إحباط حجج المُتطرّفين والمتعنّتين ، فكثير من حوارات كبار علماء الإسلام مع الفرق الضالة كشفت زيف أفكارهم ، وذلك ما سجّلته أقلامهم رحمهم الله تعالى .

10- فهم التطوّرات والمتغيّرات المحيطة بنا ، إذ العالم يعيش بصورة متصاعدة ، تغيرات متسارعة في مكوّناته الحضاريّة والثقافيّة نتيجة للثورة التقنية والمعلوماتية التي أنتجت نماذج فريدة في تشكيل العالم يصعب اللحاق بها أو فهمها . فمع وجود الشكّ في الآخر وعدم التواصل معه يصبح من العسير التجانس مع التغيرات والتطوّرات ، وهذا يقود لوجود تأثيرات سلبيّة متزايدة ؛ لأننا سنكون تحت قبضة عالم متنام لا نعرف ماذا يجري حوله . فالأمّيّة السياسيّة والاقتصاديّة والثقافيّة تزداد اتساعاً في مجتمعاتنا عندما نجهل أبسط قواعد الاتصال والحوار ، هذا من جهةٍ . ومن جهةٍ أخرى فانّ التطوّر الحتمي الذي يلحق في البنية التحتيّة لمجتمعاتنا خصوصاً مع بروز الأجيال الحديثة التي نمت في رحم رياح العولمة يجعل الأمر أكثر صعوبةً بفقداننا للتواصل الداخلي وعدم وجود لغة حوار منفتح تقودنا نحو التجانس والتنسيق والعمل المشترك مع أنّ الحقيقة هي سيطرة لغة التصادم والقطيعة والحوار من طرف واحد . ومع عدم القدرة على استيعاب المتغيّرات الحتميّة التي تهبّ علينا نصبح أسرى لمسيرة القدر وقوّة سلطان الآخرين .

وعليه فالحوار الهادئ المراعى فيه هذه الأهداف ، يمكن أن يكون مفتاحاً وطريقاً إلى الأفئدة ، محققاً النّتائج الإيجابيّة ، والتي قد يخسرها الإنسان إذا لم يسلك سبيل الحوار ، أو إذا لم يُراع فيه الضوابط والأهداف .

ثالثاً : أسس الحوار وأركانه : وهي أربعة لا يُمكن للحوار أن يقوم بدونها ..

1- المُحاوِر - بكسر الواو- ، وهو الطرف الأوّل . 2- المُحاوَر- بفتح الواو- ، وهو الطرف الثاني .

3- موضوع الحِوار : الفكرة التي يقوم الحوار من أجلها ولو لم توجد لما وجد الحوار فهي الباعث عليه .

4- أسلوب الحوار : وهي المقاولة والمُراجعة بين الطرفين .(11)

المبحث الثاني:الحوار في القرآن الكريم .. (منهجيّته ، آدابه ، أنوعه) ويتضمن ثلاثة مطالب ..

المطلب الأوّل : منهج الحوار في القرآن الكريم

يتجه القرآن الكريم في حواره مع الآخر ضمن منهجيّة عالية المستوى رفيعة القدر والمحتوى ، وذلك من بداياته الأولى ؛ لتكون طريقاً يُهتدى به ومسلكاً يتخذه المتحاورون في حواراتهم لإقناع بعضهم بعضاً سواء في الأمور الدّنيويّة أو الأخرويّة ويُعدّ المنهج القرآني قانوناً يُلائم كل زمان ومكان حتى قيام السّاعة وسنتعرّف على ذلك من خلال ما يأتي :

❖ **المنهجيّة العامّة للحوار في القرآن الكريم :** إذا ما نظرنا إلى حوار القرآن الكريم بأنواعه كلها نظرة شاملة ، دون تحديد أيّ نوع ، يتبيّن لنا ما يأتي ..

1- الشمول والتنوّع : إنّ القرآن الكريم لم يقتصر في حواراته على طرح قضيّة معيّنة وكيفية معالجتها أو نوع معيّن كالعقيدة وحدها ، أو العبادات أو المعاملات بل شمل جوانب الحياة كلها دينيّة كانت أو اجتماعيّة أو اقتصاديّة أو سياسيّة بمعنى كل ما يحقق المنفعة للمجتمع الإسلامي في حاضره ومستقبله ، فهو جدير بأن يكون موضوعاً للحوار ، ولا يقتصر الحوار على موضوع دون آخر ، ما دامت المنافع والمصالح هي محورَه الرئيس ومجاله الحيويّ ، إذ يغطّي شتى الموضوعات التي ترتبط بجميع مناحي الحياة ، ويستجيب للحاجات الضرورية التي تفرضها طبيعة العلاقات الثنائيّة والمصالح المتبادلة . وهذا يدلل على أنّ الحوار في القرآن كان غرضاً أساسيّاً وأسلوباً ناجحاً في تحقيق أغراضه الشاملة لكل جوانب الإصلاح فرديّة كانت أو جماعية .(12)

2- إظهار الحجّة وإقناع العقل : إن القرآن الكريم ينطلق في حواره إلى إبراز الحجّة والمنطق وإقناع العقل بالعلم والبرهان ، ويدعوا إلى التحاور والجدال بالحِكمة والموعظة الحسنة : فما أكثر ما يرد في القرآن: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾البقرة: ١١١ ، وقال تعالى مرشداً إلى اعتماد العلم والحجّة في الحوار: ﴿هَاأَنتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾آل عمران: ٦٦ . فالعلم شرط أساس لنجاح الحوار وتحقيق غايته وبدونه لا ينجح أيّ حوار ، قال الإمام ابن تيميّة رحمه الله : " وقد ينهون عن المجادلة والمناظرة ، إذا كان المناظر ضعيف العلم بالحجّة وجواب الشبهة ، فيخاف عليه أن يفسده ذلك المضلّ ، كما ينهى الضعيف في المقاتلة أن يقاتل علجاً قويّاً من علوج الكفار ، فإنّ ذلك يضرّه ويضرّ المسلمين بلا منفعة " .(13) وفي إتباع اللين والحِكمة والموعظة الحسنة يأمر الله موسى عليه السلام : ﴿اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي

﴿ذِكْرِي ﴿٤٢﴾ اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ طه: ٤٢ – ٤٤ ويأمر باتباع الحِكمة في الدّعوة : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ فصلت: ٣٣ - ٣٤ ، وتأكيداً لهذا المنهج ينهى الله المؤمنين عن اتباع أساليب السّفهاء ومجاراتهم في السبِّ والتسفيه لمعتقدات الآخر: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ الأنعام: ١٠٨ . كما أنّ القرآن يتابع التسلسل المنطقيّ مهما بلغ من صور الافتراضات التي قد تتنافى مع مبادئ القرآن في الظاهر لغرض إلجاء العقل إلى التسليم ، ونقرأ هذا من خلال توجيه الله إلى نبيّه في حواره مع المشركين إلى أن يُخاطبهم بطريقة التسليم الظاهري ، قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ الأنبياء: ٢٢ ، فيقول لهم لو فرضنا جدلاً أنّ هناك آلهة أخرى ؛ لحصل النّزاع والصّراع بينهما ؛ ولأدّى هذا إلى فساد الكون . فهو يفترض ثمّ يُحاور لينتهي إلى النّتيجة .

3- اعتماد القرآن في محاوراته على العقل المجرّد : ونلمس هذا الجانب من خلال تأمّلنا في الأسلوب القرآني للحوار ، إذ يعتمد أثناء المحاورة على العقل المجرّد دون التأثر بأي عامل آخر أو مؤثر خارج المحاورة وهذا أقصى ما يمكن أن يطلبه أو ينتظره مفكر يدّعي الحريّة في فكره أو باحث يدّعي التجرّد من التعصّب والانحياز والدّليل على ذلك حوار إبراهيم عليه السّلام مع المشركين من قومه الذين كانوا يعبدون الكواكب، إذ افترض أنّه يعبدها مثلهم فقال: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي﴾ الأنعام: ٧٦. والغرض من هذا نفي وجود أيّ مؤثر على المُحاور غير العقل.(14)

❖ **المنهجيّة الخاصّة للحوار في القرآن الكريم** ، ويُمكننا إجمالها في فرعين :

الفرع الأوّل : منهج القرآن الكريم لكلا الطرفين : ويدعوهما لما يأتي ..

1- حُريّة الفكر : يدعو القرآن الكريم المتحاورين إلى حريّة الفكر في بداية حوارهم ، يرافقه ثقة المحاور بشخصيّته الفكريّة المستقلة ، فأمر الله رسوله أن يحقق ذلك ويوفره لمُحاوريه : ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ الكهف: ١١٠ فلا يُهزم المُحاور أمام الآخر لما يحسّ فيه من العظمة والقوّة التي يمتلكها الآخر ، فتتضاءل إزاء ترك ثقته بنفسه وبالتالي بفكره وقابليّته لأن يكون طرفاً للحوار فيتجمّد ويتحوّل إلى صدىً للأفكار التي يتلقاها من الآخر.(15)

2- طرح المنهج الفكريّ : قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ

ءَابَاءَنَآۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ البقرة: ١٧٠ ، فأوّل ما يُناقش فيه هو المنهج الفكريّ عندما يمتلك أطراف الحوار الحُريّة الكاملة ، وذلك قبل المناقشة في طبيعة الفكر وتفاصيلها في محاولةٍ لتعريفهم بالحقيقة التي غفلوا عنها ، وهي أنّ القضايا الفكريّة لا ترتبط بالشخصيّة ، فلكلٍّ مجاله وأصوله التي ينطلق منها ويمتدّ إليها .(16)

3- مُناقشة الأطراف عند الأجواء الهادئة : من العوامل المهمّة التي ركز عليها القرآن في نجاح الحوار، هو أن يتمّ في الأجواء الهادئة ؛ ليبتعد التفكير فيها عن الأجواء الانفعالية التي تبتعد بالإنسان عن الوقوف مع نفسه وقفة تأمّل وتفكر، فإنّه قد يخضع للجوّ الاجتماعي ويستسلم لا شعوريّاً ممّا يفقده استقلاله الفكريّ:

﴿ ۞ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾﴾ سبأ: ٤٦. فاعتبر القرآن اتهام النّبيّ ﷺ بالجنون خاضعاً للجوّ الانفعالي العدائي لخصومه ؛ ولذلك دعاهم إلى الانفصال عن هذا الجوّ والتفكير بانفرادٍ وهدوءٍ .([18])

4. التأكيد على استقلالية كلٍّ من المُتحاورين ومسؤوليّته عن فكره : وهذا يكون قبل الانفصال ، إذ يتمّ التأكيد على استقلاليّة كلّ واحد ، ومسئوليّته عن نفسه ومصيره : ﴿ وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَٰمِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ هود: ١٢١- ١٢٢ ، ﴿ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِيۖ وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِيٓ إِلَيَّ رَبِّيٓۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾﴾ سبأ: ٥٠. إنها مسئوليّة فرديّة لا تداخل فيهـا : ﴿ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْۖ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾﴾ يونس: ٤١ .(19)

5- عدم تتبع الأخطاء الناتجة عن الانفعال أثناء الحوار : يدعو القرآن الكريم المتحاورين على أن لا يُتابعَ أحدهم الآخر على ما بدر من إساءات أثناء الحوار ، وليكن العفو والصّبر أساساً وخلقاً في التعامل ولاسيّما مع الجاهلين(20) : ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ الأعراف: ١٩٩ ، ﴿ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾﴾ المزمل: ١٠ .

6- ختم الحوار بهدوءٍ : إذا سار الحوار جادّاً وفق هذا المنهج من قبل جميع الأطراف ؛ فلا بدّ أن يصلوا جميعاً إلى ما التزموا به في بداية الحوار من الرّجوع إلى الحقّ وتأييد الصّواب ، فإذا رفض المحاور الحجج العقليّة كأن لم يقتنع بها ؛ فإنه بذلك يمارس حقاً أصيلاً كفِلَه له ربّ العزّة، وينتهي

الحوار بهدوء كما بدأ دون حاجةٍ إلى التوتر والانفعال: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ ﴿٣٥﴾﴾ هود: ٣٥.

ثانياً: منهج القرآن تجاه الخصم: من الأمور البارزة التي عني بها القرآن الكريم وأولاها اهتماماً كبيراً هي عدم مصادرة حقّ الخصم، وإنصافه من كلّ وجهٍ.. وكيف يُمكن ذلك؟ هذا ما سأتطرّق إليه فيما يأتي..

1- التسليم بإمكانيّة صواب الخصم: من تمام الإنصاف التسليم الجدلي بأنّ الخصم قد يكون على حق والتفريق بين الفكرة وقائلها، لذا نقرأ بعد مناقشةٍ طويلةٍ في الأدلة على وحدانيّة الله تأتي هذه الآية: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾﴾ سبأ: ٢٤. فطرفا الحوار سواء في الهداية أو الضلال ثمّ يضيف على الفور في تنازل كبير بُغية حمل الطرف الآخر على القبول بالحوار: ﴿قُل لَّا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾﴾ سبأ: ٢٥، فيجعل اختياره هو بمرتبة الإجرام على الرّغم من أنّه هو الصّواب، ولا يصف اختيار الخصم بغير مجرد العمل، ليقرّر في النهاية أنّ الحكم النهائيّ لله: ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾﴾ سبأ: ٢٦. (21)

2- حماية الخصم أثناء الحوار: فمهما يبلغ الشخص المُحاوَر من ضَعْفٍ في رأيه، أو في شخصيّته، أو ركاكة حُجّته نجد الخصم في مُحاورة القرآن الكريم مصوناً من أيّ أذىً، أو تسفيه، أو تحقير، أو سخريّة أو بذاءة، أو فحش، قال تعالى: ﴿لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ﴾ الحجرات: ١١.. حتى يصدرَ الحكم عليه.

3- إظهار المُساواة للخصم: وهذه أرفع درجةٍ من سابقها، إذ سنلاحظ من مُحاورات القرآن الكريم إشعار الخصم بمساواته مع مُحاوره، وبكلّ وضوحٍ أثناء المُحاوَرَة، وهذا أقصى ما يُمكن من عدالةٍ تُمنح للخصوم حين يشعر الخصم أنّه مساوٍ لخصمه، على الرّغم من أنّ الملابسات كلها توحي بغير هذه المُساواة قال تعالى: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾﴾ سبأ: ٢٤. وبالتأكيد أنّ النّبيّ ﷺ على حقٍّ، ومُجادليه على باطل، بيدَ أنّ الله تعالى أراد أن يوجّه نبيّه إلى افتراض التجرّد من ذلك، وإشعار الخصم بالمُساواة معه في صورة افتراض أنّه لا يعلم أيّهما على الهدى أو الضلال.

4- التعهد والالتزام بالحقّ : وهذا لا يكفي مجرّد التسليم الجدلي بإمكانيّة صواب الخصم ، بل لا بدّ من التعهد والالتزام بإتباع الحقّ إن ظهر على يديه ، حتى ولو كان التعهد باتباع ما هو باطل ، أو خرافةٍ إذا افتُرِض ، ثمّ ثبت وتبيّن أنّه حقّ : ﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ الزخرف: ٨١ .

5- الرّفق بالمهزوم : عن جرير بن عبد الله ﷺ ، عن النبيِّ ﷺ قال: « مَنْ يُحْرَمِ الرِّفْقَ يُحْرَمِ الْخَيْرَ » .(22) وإذا قرأنا القرآن وتتبّعنا محاوراتِهِ لم نجد فيه محاورةً واحدةً أخذت المنتصر فيها نشوة الانتصار فحملته على الكبرياء والنّيل من شخصيّة الخصم نفسه أو الاستهزاء به أو السّطو عليه ، بل يرفق دائماً بالخصم ويحميه من كلّ أذىً حتى تنتهي المحاورة ثمّ تعلن النّتيجة ؛ وذلك لأنّ نتائج محاوراتِ القرآن هي الدّعوة إلى الدّين نفسه ، أمّا الخصم ذاته فنجد أنّ محاور القرآن لا تهدف إلى النّيل منه أو إيذائه حتى بعد إعلان خطئه وسوء موقفه خلال المحاورة .(23)

.. وهكذا يرشد المنهج القرآني في الحوار مع الآخر إلى إنهائه بمهمّة وأداء رسالة يبقى أثرها في الضمير إن لم يظهر أثرها في الفكر ، إنّه أسلوب لا يُسيء إلى الخصم بل يؤكد حريّته واستقلاليّته ويقوده إلى موقع المسئوليّة ليتحرّك الجميع في إطارها وينطلقوا منها ومعها في أكثر من مجال .

المطلب الثاني : آداب الحوار في ضوء القرآن الكريم

وللحوار آداب ومعايير بالغتا الأهميّة تؤهل المتحاور للانخراط في عملية الحوار الصّحيح والمنهج القويم ، والتي يجب التمسّك بها حتى يجني ثمار ذلك الحوار فينفع نفسه ويدعو غيره إلى تحقيق أعلى المكاسب ، ومن أهمّ هذه الآداب :

1- أن يكون الحوار هادفاً وقائماً على الصّدق والأمانة وتحرّي الحقيقة بعيداً عن الإشاعات الكاذبة ، وأن يبنى على المعلومات الصّحيحة لا على الأخبار المضطربة قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۚ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ الإسراء: ٣٦ .

2- الالتزام بموضوع الحوار (محل النّزاع أو الخلاف) وعدم الخروج عليه ، وهذه مسألة منهجيّة وتنظيميّة في غاية الأهميّة ، وإذا ما خرج المتحاوران عن موضوعهما فيمكن معالجة هذه القضيّة بضبط أولويّات الحوار جيّداً وإقامة هيئة تحكيم لتضبط المتحاورين كلما جنحوا للخروج من إطار الموضوع .

3- أن يقصد كلّ طرف من أطراف الخلاف إظهار الحق والصّواب في الموضوع المناقش فيه ، حتى ولو كان الإظهار على يد الطرف الآخر . وهذا من أهمّ الآداب وأبرز الصّفات التي ينبغي

للمحاور المخلص الصّادق أن يتميّز بها ، بأن يكون الحق ضالته والصّواب مراده ، فحيثما وجده أخذه .

4- تحديد الهدف والقضيّة التي يدور حولها الحوار ، فإنّ كثيرًا من الحوارات تتحوّل إلى جدل عقيم سائب ليس له نقطة محدّدة ينتهي إليها .(24)

5- تحديد المصطلحات المستخدمة في الحوار تحديداً دقيقاً مع شرحها وإيضاح العبارات المبهمة المطروحة من كلا الطرفين ؛ كي يكون المحاوَر على بيّنةٍ من تلك الألفاظ ، قال تعالى: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ الإسراء: ٥٣ .

6- مناقشة المسائل مناقشةً علميّة وعلى حسب أهميّتها من دون تضخيم ، مع الالتزام بحسن الخُلق عموماً وبالتواضع خصوصاً والتحلي بالصّبر ، وتجنّب الغرور والعُجُب والمكابرة أثناء المحاوَرَة ، قال تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ آل عمران: ١٥٩

7- المصارحة والمكاشفة بإخلاص، قال تعالى عن نوح: ﴿ وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ ﴾ هود: ٢٩ ومن ثمّ إبراز الحقائق مع أدلتها المقنعة ، ومع الفهم السّليم العميق للقضايا ولاسيّما الأحكام الشرعيّة .

8- إفساح المجال أمام المعارض رحمةً وشفقةً ، قال تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ الأنبياء: ١٠٧ لكي يُعبر عن وجهة نظره دون مصادرة لقوله ، أو إساءة لشخصه مع عدم التسرّع في إقناعه - ولو كان خصماً - ؛ لأنّ ذلك ممّا يجرح مشاعره .. ثمّ تعطى فرصة زمنيّة للمُتحاورين حتى يتأمّلَ كلُّ واحدٍ منهما وجهة نظر صاحبه ، حتى تتضحَ الرّؤية المطلوبة مع هدوء الخواطر وفتور الانفعال الوقتي الذي يُصاحب لحظات الحِوار .

9- خلق الجوّ الهادئ للتفكير المستقلّ مع تلطيفه حيناً بعد حين ، وذلك من خلال التعارف بين الطرفين وطرح أسئلةٍ في غير موضوع الحوار للتهيئة النّفسيّة ، وإسداء بعض عبارات الاحترام والتقدير للطرف الآخر(25) ، فإنّ ذلك أدعى إلى كبح جماح الانفعال لدى الطرف الآخر ، وتهدئة جموحه نحو التعدّي وعدم الموضوعيّة ، قال تعالى: ﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ فصلت: ٣٤ .

10- حسن الخطاب وعدم الاستفزاز ، أو ازدراء الآخرين ، وهذا من شروط نجاح الحوار ،

وشاهده ما أمر الله به موسى وهارون في مُخاطبة فرعون: ﴿ اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾ طه: ٤٣- ٤٤ .

11- حسن الاستماع للطرف الآخر وإن كان على باطل ، إذ لا بدّ للمحاور النّاجح أن يُتقنَ فنّ الاستماع ؛ لأنّه مسألة تبادل للآراء وليس مجرد إرسال من طرف واحد واستقبال من الطرف الثاني ، وهذا يحتاج إلى تهيئة النّفس للإنصات والبعد عمّا يُشغل أو يُقلل التركيز . ولا يتمادى في الحديث حتى يجور على الوقت المخصص للآخرين وحوار الأنبياء مع أقوامهم خير مثال لهذا إذ كانوا يصغون جيداً لمحاوريهم بل كانوا يتفضلون فيمنحونهم الفرصة الأولى للإدلاء بآرائهم وحججهم ، علماً أنّ الاستماع إلى الطرف الآخر وحسن الإنصات ، تهيّئ الطرف الآخر لقبول الحقّ ، وتمهد نفسه للرُّجوع عن الخطأ .(26)

12- إبراز الدّليل النّاصع والبرهان السّاطع ، ولاسيّما عندما يواجه المُحاور خصماً عنيداً ، يُثير الشبه ويتهرّب من الأدلة والبيانات ، آنذاك عليه أن يُفاجئ خصمه بحججٍ مسكتةٍ ، وحقائق مذهلة ، تقطع عليه الطريق وتوقفه عند حدّه ، وأبرز شاهد لهذا قوله تعالى: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ الشعراء: ٢٣ مستهزءاً ومتنكراً للقول ، ومستغرباً للمسألة كلها ، حتى قطع موسى عليه الطريق بقوله: ﴿ قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ الشعراء: ٢٣- ٢٤ .(27) .. وغير ذلك من الآداب ، علماً أنّ هنالك أموراً فرعيّة كثيرة أعرضنا عن ذكرها ؛ وذلك لضيق مجال كتابة البحث .

المطلب الثالث : أنواع الحوار في القرآن الكريم

ومن الأهميّة بمكان أن أتطرّق هنا إلى أنواع الحوارات التي ذُكرت في القرآن الكريم ، مع التعريف بكلّ نوعٍ وذكر بعض فوائده ؛ ليتسنّى لنا فهم مقاصد تلك الأنواع ؛ ولما لها من ارتباط وثيق بموضوعنا :

أوّلاً : الحوار القصصي : وهو الذي يأتي في طيّات قصّةٍ واضحةٍ في شكلها وتسلسلها القصصي ؛ ولذلك سمّي قصصياً نسبة إلى القصص ، وأصله تتبع الشيء ومنه قوله تعالى: ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ ﴾ القصص: ١١ أي تتبّعي أثره والقاص يتتبّع الآثار فيخبر بها وتأتي القصص بمعنى الخبر ؛ لقوله تعالى : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ﴾ يوسف: ٣ أي نحن نُخبرك أحسن الخبر .(28)

❁ ولهذا الحوار آثار نفسيّة عدّة ، منها :

- يُثبّت عقيدة التوحيد النّقيّة من شوائب الشرك والإلحاد والخرافات في القلوب .
- يغرس محبة الله تعالى في النفوس ، ويرغب في الدّعوة إلى الله ، والدّفاع عن أنبيائه بشتى الوسائل .
- يعرض حجج الأنبياء عرضاً فكريّاً ربانيّاً تدحض فيه حججَ الماديّين ويُبيّن لهم منطقهم المتهافت
- يربي الفكر من خلال ذكره لنتيجة القصّة ومصيرها ، والتي لها ارتباط وثيق بمراحل الحوار .
- يدعو قرّائه إلى القدرة على المجادلة والمصاولة بالحق لخصمه ؛ ليردّه عن باطله وكيده ، بحكمةٍ وخبرة وفطنةٍ بالحُجج والبرهان القاطع .
- إنّه يوحي لقرّاءه بكراهية حُجج الكفار وأحوالهم ، وذلك عند انتهاء الحِوار القصصي .(29)

.. وهذا الحوار هو الغالب في القرآن الكريم ؛ لما له من أثر فكريٍّ ، فضلاً عن أثره الوجداني العاطفي .

ثانياً: الحوار الجدلي : وهو الحوار المسوق لإثبات الحجة على الخصم بطريق فيه نوعٌ من الشدّة في الرّد على الخصم ، فهو حوارٌ يجري فيه نقاش أو جدال بقصد إقامة الحجة على المشركين ؛ ليعترفوا بضرورة الإيمان بالله تعالى وتوحيده ، وببطلان ما يزعمون من آلهةٍ ، والاعتراف باليوم الآخر ، وبصدق رسالة نبيّنا محمّدٍ ﷺ ، وبما بلغنا من شريعةٍ وتعاليم .(30) ومن الأمثلة عليه قوله تعالى :

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ ﴾ البقرة: ٢٥٨ .

❁ ومن آثاره النفسيّة :

- يدعو العقول إلى التأنّي والتفكير السّليم ، والصّبر على خصمه ، والوصول إلى النّتائج الصّحيحة بأسلوب دقيق ، .. حتى يضطرّ خصمه إلى التسليم .
- يُوحي هذا الحوار إلى كراهية الباطل والأفكار الشركية والإلحاديّة ، وتفاهة مثل هذه الأفكار .
- يُربّي الإنسان على الفكر الواقعي والموضوعي ، وذلك بالارتقاء من المشهود المحسوس إلى المطلوب المغيب ، وخير شاهدٍ لهذا المحاججة التي حدثت بين إبراهيم الخليل والملك الظالم.
- يدعوا إلى الحرص على إظهار الحق والحماسة لأجله ، وتحرّي الصّواب والحجج الدّامغة .(31)

ثالثاً: الحوار الوصفي : وهو الذي صرّح فيه بذكر المتحاورين ، وقصد منه إثبات وصف حيٍّ لحالةٍ

نفسيّةٍ أو واقعيّةٍ للمتحاورِين بقصد الإقتداء بصالحيهم ، والابتعاد عن شرّيريهم ، والتأثر بهذا الجوّ تأثراً وجدانيّاً يُنمّي العواطف الرّبانيّة والسّلوك الإنساني التعبدي الفاضل .(32) ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا يَٰوَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿٢٠﴾ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾ ۞ ٱحْشُرُوا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ ﴾ الصافات: ٢٠ - ٢٣ .

❀ ومن فوائده :

- يُربّي النّفوس البشريّة تربية إيمانيّة حقة ، ويدعوها إلى الابتعاد عن الهلاك الأخروي ، وذلك من خلال هذا الحوار الذي يوصف الأحوال صوراً حيّة كحالة أهل النّار النّفسيّة — الآية المتقدّمة- ، ولاسيّما أنّ التصريح جاء على ألسنتهم وباعترافهم .
- يأخذ بقرّائه إلى حسن الصّحبة ، والإقتداء بالصّالحين المخلصين والتأسّي بهم والابتعاد عن صحبة الفاسدين والاغترار بهم ، وذلك بوساطة اعتماده على الإيحاء النّفسيّ .(33) .. وهذا الحوار الوصفي يجمع في طيّاته وصف مشاعر لبعض الأحوال ، كمشاعر أهل النّار ومشاعر أهل الجنّة ، وبوصفٍ دقيقٍ في مُنتهى الرّوعة .

الفصل الثاني

حوار القرآن مع المشركين

للحوار في القرآن الكريم مساحات شاسعة ، من بينها حوار المخالفين في الدّين ؛ لما له من صور وأبعاد وأهداف وآثار من مادة علميّة لها ظلال عميقة في واقع التطبيق . والمتتبع للحوار القرآني مع المشركين بالتحديد يجد أنَّ طرحه للخطاب معهم يتمثل بحوار هدايةٍ ودلالةٍ وجدل إقناع وإقحام على البراهين العقليّة ، ولفة الأنظار في الآيات الكونيّة حتى يهتدوا إلى خالقها فيعبدوه ويُعظموه وحده لا شريك له وينبذوا عبادة غيره من الأصنام والأوثان التي لا تملك لنفسها ضرّاً ولا نفعاً .. وسنتعرّف على ذلك من خلال تتبعنا للآيات القرآنيّة ؛ كي يكون لنا تصوّراً في إيجاد تحقيق روح جديدة وحلول تفيض بالفكر والإبداع . وقد أورد الله تعالى نماذج عدّة في كتابه العزيز ، ودعا إلى استخدامها مشروطاً بآداب الحوار ممّا لها صلة بواقعنا المعاصر ، وسأحاول حصرها في ثلاثة مباحث ..

المبحث الأوّل
حوار القرآن مع المشركين
في إثبات وجود الله تعالى ووحدانيّته

ويُعدّ هذا المطلب من أهمّ موضوعات الحوار ؛ لكون الشرك بالله تعالى العقبة الكبرى والكؤودة التي تقف حاجزاً أمام حركة الرّسالة في المجتمعات ، وهي المشكلة العظمى المطروحة على السّاحة ؛ ولما لهذا الحوار من أسس واقعيّةٍ في صفاءٍ وتنقية العقيدة من شوائب الوثنيّة وبراثن الشرك .. لذا سنتعرّف من خلاله على الحوار الهادئ والبنّاء في طرح الدّعوة إلى إظهار السّلوك الصّحيح القويم والفكر السّليم تجاه الصّراعات العقديّة كلها ، والمتنوعة في طقوسها وتقاليدها في عبادةٍ امتدّت إلى أكثر من صورة . وإلى الحوار الهادف إلى نتيجةٍ مثاليةٍ يُقتدى بها في مجال المناقشات والحوارات . فخاطب الله تعالى المشركين خطاباً يقوم على البرهان والحجّة العقليّة التي تلزمهم بالتفويض الكامل والتسليم المطلق لإرادته ، ولا يُعارض في ذلك إلا مُعاند ومكابر فدعاهم أوّلاً إلى الاعتراف بوجود الخالق الصّانع ، وإلى توحيد الرّبوبيّة ثانياً ، وهذا أهمّ ما يبتغيه العقلاء ، الذين يُلغون حواسهم ويتبرّون من عمليّة التقليد الأعمى والعشوائي ولاسيّما ما يدّعيه الملحدون من دين آبائهم وأجدادهم . فلمّا انتشر الفساد في الأرض وعمّ البلاء بعبادة الأصنام فيها ، بعث الله عباده ورسله إلى جميع خلقه ، ليدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له وينهوهم عن عبادة ما سواه ، فكان أوّل رسول بعثه الله إلى الأرض ، هو نوح عليه السّلام - كما ذكره المحدّثون(34) فلمّا بُعث إلى قومه حاورهم ودعاهم إلى إفراد عبادة الله وحده ، وألا يعبدوا معه صنماً ولا تمثالاً ولا طاغوتاً وأن يعترفوا بوحدانيّته ، وأنّ لا إله غيره ولا ربّ سواه كما أمر سبحانه من بعده من الرّسل الذين هم كلهم من ذريّته ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾﴾ الصافات: ٧٧ ، فنادى بهم فقال: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾﴾ نوح: ٢- ٣. وعن قتادة في قوله تعالى: ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ﴾ قال: " أرسل الله المرسلين بأن يُعْبَد اللهُ وحده ، وأن تتقي محارمه وأن يُطاع أمره " .(35) حتى صرّح لهم قائلاً : ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾﴾ الأعراف: ٥٩ ، وقال : ﴿أَن لَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾﴾ هود: ٢٦ ، وهذا هو صلب موضوع المُحاورة إذ اختار نوحٌ عليه السّلام ألفاظاً بسيطة المعنى ، سريعة الوصول إلى أذهانهم لا تعقيد فيها ، ولم يكن خيالاً أدبيّاً ، فكان هذا التعبير: ﴿اعْبُدُوا

﴿ اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ﴾ ، ﴿ أَن لَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ﴾ ثمّ يُخوِّفهم ويُهدِّدهم بعد إعلامهم موضوع رسالته التي جاء من أجلها في تبليغهم بوجود الخالق الصّانع ووحدانيّة ذلك الموجد جلّ في عُلاه . وبعد ملأ نفوسهم حذراً ورهبة من العصيان والنّفور ، قال: ﴿ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ .. بعد ذلك التمهيد المسبق ، وتلك الصّياغة العظيمة ، وبسط التحاور في جذب هؤلاء ، حتى : ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ ﴾نوح: ٢ - ٣ . فبيّن لهم تأكيد هدفه في دعوته لوجود الخالق وتوحيده بعد إبداء عطفه لهم ليحدث في نفوسهم الرّهبة والتهيّؤ ، فجاء بهذه الصّياغة المختارة: ﴿ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ بكامل الأدب عليه السّلام

فنلحظ ممّا تقدّم أنّ نوحاً قد حاورهم عن طريق الإقناع ولم يجبرهم إجباراً قسريّاً ؛ ذاك لأنّه يعلم أنّ العقيدة الحقيقيّة هي التي تقوم على الإقناع واليقين ، وليس على مجرد التقليد أو الإرغام . وكلّ فرد هو حرّ في أن يعتقد ما يشاء وأن يتبنّى لنفسه من الأفكار ما يُريد ، حتى ولو كان ما يعتقده أفكاراً إلحاديّة ، فلا يستطيع أحد أن يمنعه من ذلك طالما أنّه يحتفظ بهذه الأفكار لنفسه ولا يؤذي بها أحداً من الناس فيُترك وشأنه : ﴿ لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ ﴾الممتحنة: ٨ . وإن كان المفسرون قد اختلفوا في نسخ هذه الآية بآيّة السّيف وعدمها ، إلا أنّ ما يُؤيّد عدم النّسخ هو ما ذكره الإمام الطبري بقوله: " وأوْلى الأقوال في ذلك بالصّواب قول من قال: عُني بذلك: ﴿ لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ ﴾ ، من جميع أصناف الملل والأديان أن تبرُّوهم وتصلوهم وتُقسطوا إليهم ، إنّ الله عزّ وجلّ عمّ بقوله: ﴿ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ ﴾ ، جميع من كان ذلك صفته ، فلم يخصّصْ به بعضاً دون بعضٍ ولا معنى لقول من قالَ: ذلك منسوخ " .(36) وكذلك ما نقله الإمام القرطبي عن أكثر أهل التأويل بأنّها مُحْكَمة(37) ، وكذلك قول الإمام الترمذي عند قوله تعالى: ﴿ إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً ﴾آل عمران: ٢٨ بأنّ ذلك رخصة في حالة الخوف والضّعف مع اشتراط سلامة الدّاخل في القلب ، فإنّ مفهومه أنّها مُحْكمة وباق العمل بها عند اللزوم ، ومفهومه أنّ المؤمنين إذا كانوا في حالة قوّة وعدم خوف وفي مأمنٍ منهم وليس منهم قتال ، وهم في غاية من المُسالمة فلا مانع من برّهم بالعدل والإقساط معهم ، وهذا ممّا يرفع من شأن الإسلام والمسلمين ، بل وفيه دعوة إلى الإسلام بحسن المُعاملة وتأليف القلوب بالإحسان إلى من أحسن إليهم، وعدم مُعاداة من لم يُعادهم ، وممّا يدلّ

وتفنيدها ، فبيّن في المقام الأوّل مع أبيه خطأهم في عبادة الأصنام الأرضيّة التي هي على صورة الملائكة السّماويّة ؛ ليشفعوا لهم إلى الخالق العظيم الذين هم عند أنفسهم أحقر من أن يعبدوه ، وإنّما يتوسّلون إليه بعبادة ملائكته ؛ ليشفعوا لهم عنده في الرّزق والنصر ، وغير ذلك ممّا يحتاجون إليه . وبيّن في المقام الثاني خطأهم وضلالهم في عبادة الهياكل ، وهي الكواكب السيّارة السّبعة المتحيّرة ، فبدأ بأشدّهنّ إضاءة وأشرقهنّ عندهم وهي الشمس ، ثمّ القمر ، وبيّن أنّ هذه الأجرام المشاهدة من الكواكب النّيّرة لا تصلح للألوهيّة ولا أن تعبد مع الله ؛ لأنها مخلوقة مربوبة مصنوعة مدبّرة مسخرة .(44) وأنّ الخالق المعبود هو الذي لا يغفل ولا ينام ولا يطرأ عليه التغيّر أو الأفول كما أفلت تلك النّجوم .

قال النسفي : " والصّحيح هذا قول من يُنصف خصمه مع علمه أنّه مبطل فيحكي قوله أوّلاً كما هو ، غير متعصّب لمذهبه ؛ لأنّه أدعى إلى إنصات الخصم وأنجى من البدء بالشغب ، ثمّ يكرّ عليه بعد حكايته فيبطله بالحُجّة ، وقد كانت هذه الحُجّة كافية في إقناع القوم لكنّهم أهل عناد ولجاج فما برحوا أن واجهوا الحُجّة النّاصعة والبرهان السّاطع بالجدال والحجاج العقيم ، وقد طوى القرآن كيفيّة حجاجهم ؛ لعدم الفائدة منه فقال : ﴿ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ﴾الأنعام: ٨٠ أي : في توحيد الله تعالى ونفي الشركاء عنه " .(45)

ثمّ يدعو إبراهيمُ قومَهُ مرّة أخرى إلى التأنّي والتأمّل في أنّ آلهتهم جمادات : ﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ ﴾العنكبوت: ١٦- ١٧ . غير قادرة على جلب نفع ولا دفع ضرّ فيقول لهم أغفلتم فلا تتذكروا إنّها غير قادرة على إضراري ، وقد كان هذا من دقة التعبير وبلاغته في حواره معهم ، بأن دعاهم إلى التذكر دون التفكر ونظائره إشارة إلى أنّ أمر أصنامهم في بطلان عبادتها مركز في العقول لا يتوقف إلا على التذكر .(46) حينئذٍ : ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾الأنعام: ٧٨- ٨٠ . وهذه دعوة إلى المُحاور المسلم بالتمسّك بالعزة والثبات على الحقّ ، وأن يستمدّ قوّته من قوّة الدّين وعظمة الإيمان ، ولا يجوز له أن يؤدّي

الحوار به إلى الذلة والهوان . والعزّة الإيمانيّة ليست عناداً يستكبر على الحقّ ، وليست طغياناً وبغياً وإنّما هي خضوع لله وخشوع، وخشية وتقوى ومراقبة الله سبحانه.

.. ثمّ سلكَ إبراهيم عليه السّلام منهجاً آخراً في مخاطبتهم ومحاجّتهم بأنّ تلك الأصنام التي انتم لها عاكفون لا تملك الأمن لنفسها فكيف يُمكن أن تؤمّن عبادها؟ فيجيبهم مستفهماً على سبيل الإنكار عليهم: ﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا ﴾ الأنعام: ٨١. يقول مالكم تنكرون عليّ الأمن في موضع الأمن، ولا تنكرون على أنفسكم الأمن في موضع الخوف .(47) حتى قال : ﴿ فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ الأنعام: ٨١ ، أنا الذي أوحدوا الله تعالى أم أنتم الذين أشركتم به ؟ .

وهذا أسلوب دعوي رفيع المستوى في المُحاورة إذ استنزلهم عن رتبة المُكابرة والتعسّف بسوق الكلام على سنن الإنصاف .(48) وكان الجواب الأبديّ لفصل هذا الخطاب بين المُوحّدين إبراهيم والمشركين من قومه: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ الأنعام: ٨٢. بينما كان ردّهم بعد هذا الشوط الذي قطعه عليه السّلام وأمنيّته بإيمانهم: ﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ العنكبوت: ٢٤ ، ﴿ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ ﴾ الأنبياء: ٦٨- ٧٠ .

وبعد هذا الحوار العجيب الفريد من نوعه في القرآن الكريم في نسق ونظم وترتيب الأدلة وطرح البراهين والحجج الدّامغة الدالة على وجود الله تعالى ووحدانيّته، عظمها الله تعالى وفخمها فقال: ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ ﴾ الأنعام: ٨٣ .

ونستنتج ممّا مضى بأنّ المُحاور الناجح هو الذي يُريدُ أن يصلَ إلى هدفه بأقرب طريق ولا يُضيّع وقته فيما لا فائدة منه ، ولا عَلاقة له بأصل الموضوع ، فمعرفة الأهمّ والبدء به يختصر الطريق ، وأوضح الأمثلة على ذلك بدء الأنبياء عليهم الصّلاة والسّلام بأهمّ قضيّةٍ وأكبر غايةٍ ، وهي الدّعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ النحل: ٣٦ ، ﴿ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ﴾ الأعراف: ٥٩- ٦٥- ٧٣- ٨٥ قالها نوح وهود وصالح وشعيب عليهم السّلام .. ، ومع التأكيد على هذا الأدب - البدء بالأهمّ

- فقد يحتاج المُحاور إلى أن يتدرّج ويتنازل مع خصمه، ويسلم له ببعض الأمور تسليماً مؤقتاً حتى يصلَ إلى القضيّة الأمّ والمسألة الأهمّ. ومن نماذج هذا الأسلوب ما اتبعه إبراهيم مع قومه ليصل بهم إلى التوحيد وإبطال الشرك ، كما قال سبحانه : ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي﴾ ، وهذا على وجه التنزّل مع الخصم ، أي ربي - بزعمكم- ﴿فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾ فبطلت عبادة الكواكب، ثمّ فعل مثل ذلك لمّا رأى القمر ولمّا رأى الشمس حتى وصلَ بهم إلى حدّ إبطال ما هم عليه من الشرك .(49)

ومن الأساليب التي طرحها القرآن الكريم في إثبات وجوده ووحدانيّته سبحانه وتعالى ، والتي أطلقها رسول الله ﷺ في حركته للحوار مع هؤلاء ومن خلال اعتراضهم على نبوّته ، قال تعالى: ﴿وَعَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَٰذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَٰذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ ﴿٧﴾﴾ص: ٤- ٧ ، فوصف القرآن هنا حالة المشركين النفسيّة تجاه الرّسول ﷺ ، إذ كان موقفهم انفعاليّاً فجعلوا يردّون بالتهم والتعجّب ؛ ليريحوا أنفسهم من عناء التفكير بالاتكاء على تقليد الآباء ، فقابلهم الرّسول بكلّ هدوءٍ ، وطلب منهم إبداء الدّليل على ما هم عليه من الشرك : ﴿قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤﴾﴾الأحقاف: ٤ ، ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾﴾الأنعام: ١٤٨ ولمّا عجزَ المشركون عن إقامة الدّليل ؛ بعد اتكالهم على التقليد واتباع الظنّ ، تطوّر الموقف في الحوار إلى تأكيد فكرة الإسلام في التوحيد ، ورفض الشكّ من قاعدة التفكير العقلي ، فأقام الدّليل عليهم: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِّنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴿٢٣﴾ أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً ۖ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ ۖ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِي ۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾﴾ الأنبياء: ٢١- ٢٤. ثمّ ينطلقُ الحِوارُ القرآنيُّ إلى رفض الفكرة ، من طرح القضيّة في اتجاهٍ آخر ، وهي أنّ وجود الآلهة الآخرين يقتضي أن يملكوا القدرة على مغالبة ذي العرش والوصول إليه: ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّابْتَغَوْا إِلَىٰ

ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ ﴾الإسراء: ٤٢. تطلب الآلهة المنازعة والمُخالفة في المراد ، ولابتغوا إليه سبيلاً في إفساد ملكه ومضاهاته في قدرته وهذا بيان للتمانع ، فحينئذٍ يقع الفساد إذ يريد أحدهما حياة شخص والآخر موته ، أو إسعادَه والآخر أشقاءَه (50) وهذا من طبيعة البشر ، وإذا ما قلنا بالمشاركة فهذا من المستحيل ؛ لأنّ الاشتراك في الألوهيّة يوجب الاشتراك في صفات الذات ، وفي مقدّمتها القدرة المُطلقة ولأنّه غير وارد ولا أثر له في الكون .

وهنا نلحظ أنّ الله تعالى لمّا ذكر الحُجّة اليقينيّة في إبطال الشرك ، وكذلك في صحة المعاد ، تبعهما بقوله : ﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ ﴾الإسراء: ٥٣ ، وهذا يعني قل يا مُحمَّد لعبادي إذا أردتم إيراد الحُجّة على المُخالفين فاذكروا تلك الدّلائل بالطريق الأحسن ، وهو أن لا يكون ذكر الحُجّة مخلوطاً بالشتم والسّب ؛ ذلك لأنّ ذكر الحجّة لو اختلط به شيء من السّب والشتم لقابلوكم بمثله كما قال: ﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾الأنعام: ١٠٨. فيزداد الغضب وتتكامل النّفرة ويمتنع حصول المقصود ، أمّا إذا وقع الاقتصار على ذكر الحُجّة بالطريق الأحسن الخالي عن الشتم والإيذاء أثر في القلب تأثيراً شديداً .(51)

ويتجّه الحوار القرآني إلى افتراض فكرة التقسيم في الكون ، فضلاً عمّا سبق: ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ ﴾المؤمنون: ٩١ ، فلمّا لم ينفعهم الاستدلال العقلي على بطلان مُدّعاهم ، أتاهم بأدلةٍ حسيّةٍ ماديّةٍ من الواقع تثبت بطلان ألوهيّة الأصنام: ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ ۚ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَامِتُونَ ﴿١٩٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا ۖ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا ۖ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا ۖ أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۗ قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾ ﴾ الأعراف: ١٩١ - ١٩٥ ، ﴿ وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾ ﴾الفرقان: ٣ ، ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ ۚ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ ﴾الحج: ٧٣ .. فبيّن الله تعالى مدى عجز هذه الأصنام ، بل وسائر

المعبودات من دونه على خلق أحقر وأقلّ المخلوقات شأناً وهو الذباب ، ولا تستطيع الدّفاع عن نفسها أو عن ما حواليها .. حتى أصبحت النّتيجة : ﴿ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾ ، عابد الصّنم ومعبوده ، أو الصّنم والذباب . (52)

ثمّ يسلك القرآن مسلكاً آخراً في تحاورهم وإقناعهم من خلال نشر وثيقةٍ شاملةٍ تحتوي على تأمّلاتٍ لكلّ ما في الكون من اختراع : ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ٣٣﴾يس: ٣٣ ، وأدلةٍ في الأنفس : ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ٧٨﴾النحل: ٧٨ ، وكذلك في الآفاق والموجودات والأوضاع ؛ لتكون مادة حيّة في نفوسهم وقريبة من عقولهم : ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ٣٠﴾الأنبياء: ٣٠ وذلك للتفكر في خلق هذه الموجودات وبدون تكلفٍ ؛ حتى يُطرحَ السّؤالُ وببساطةٍ مَنْ هو خالقها ؟ وهل هذه الموجودات وليدة المُصادفة والاتفاق ، أو وجدت بقدرة قادر وحكمة مدبّر فاعل ؟ وإذا أردنا سرد الأدلة على وجود الخالق لما استطعنا ذلك ؛ نظراً لكثرتها إذ أنّ كلّ موجود من عدم ، فهو دليل على وجود المُوجد .

ونخلص بالقول إلى أنّ إحداثيات الحوار مع المشركين تجلّت فيها معالم الاستقلاليّة التامّة والحُريّة المطلقة التي أُعطيت للمشركين ، إذ قوبل توترهم وردّهم العنيف بالدّعوة إلى إبداء الدّليل العلمي ، وإذ عجزوا عنه أقيم عليهم الدّليل العلمي والواقعي على بطلان دعواهم دون أن يتعدّى ذلك إلى أيّ شائبةٍ من شوائب الإكراه المادّي أو النّفسي أو الفكريّ ، في حين نرى موقف الإسلام من الحوار موقفاً إيجابيّاً تامّاً ، على الرّغم من وجود أديان أخرى ترحّب بالحوار أيضاً بَيْدَ أنّ موقف الدّين الإسلامي من الحوار أكثر إيجابيّةٍ وقبولاً إلى حدٍّ يُمكن وصفه بأنّه دين الحوار ؛ ذلك لأنّه دين عامّ للبشريّة وليس ديناً خاصًّا لجماعة دون أخرى ، لذا قامت عالميّة الإسلام على أساسٍ من عالميّة الإله الواحد وعالميّة التوحيد ووحدة البشريّة ، إذ الإله الواحد الخالق إلهٌ لكلّ العالم الذي خلقه ، ودين البشريّة دينٌ واحدٌ يقومُ على أساسٍ من التوحيد وهو عقيدة البشريّة جمعاء ، واستناداً إلى هذا المبدأ اتجه الإسلام إلى استخدام الحوار استخداماً جليّاً في مجال الدّعوة الإسلاميّة ، وكان من أوْلاها الوصول بالإسلام إلى غير المسلم .

المبحث الثاني

حوار القرآن مع المشركين في إثبات النّبوّات والرّسالات

وسأستعرض في هذا المبحث فكرة ولادة رفض تصديق الأنبياء من قبل المشركين ؛ بحُجّة أنّهم بشر مثلهم حتى ألصقوا بهم تهمة السّحر والجنون وما شاكل ذلك ، وكيف كانوا يُحاولون التشكيك في نبوّتهم من خلال أثارة أسئلةٍ إنكاريّةٍ مع أكثرهم ، وبالتحديد حول شخصيّتهم ، ظنّاً منهم أنّ النّبوّة حدث غير عاديّ فيجب أن تتجسّد في شخص غير عاديّ ، وأن ترتبط بغير عالم البشر . وعلى هذا الأساس سنرى كيف أنّ القرآن الكريم حاورهم وخاطبهم عن طريق الإقناع والتفهيم وبأسلوب هادئ لا يختلف عن سابقه في تصحيح أفكارهم الخاطئة والمنحرفة .. فنهج القرآن الكريم مع هؤلاء المشركين حواراً يدلل على إثبات ما يُنكرونه من النّبوّات ، وذلك من خلال الاستدلالات العقليّة المحضة ، والتي تقوم على الحُجج والبراهين ومن بين تلك النّماذج القرآنيّة والتي نلمس فيها وضوح فكرة النّبوّة ، بعد إن تحدّثنا عن الأهداف التي انطلقت من أجلها الرّسالات وهي : الدّعوة والتشريع ، وتغيير الواقع ؛ ليمارس النّاس حياتهم بأمن وسلام أساسه العدالة والرّحمة ، قال تعالى : ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ﴾البقرة: ٢١٣ ، وقال: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ﴾الحديد: ٢٥ .. ومن خلال ما تقدّم يُمكننا تقسيم هذا المطلب على أسلوبين من حيث نوعيّةُ المُحاورة :

فالأسلوب الأوّل : يتمحور في العَرض التاريخي القرآني الذي يحكي لنا ما دار من حوار بين الأنبياء السّابقين وخصومهم في إقناعهم تجاه الرّسالات .

والأسلوب الثاني : الحوار القرآني المُستقلّ الذي ينقل لنا ما جرى بين النّبيّ ﷺ وخصومه من المشركين في إثبات النّبوّة والرّسالة .. وبدءاً ببعض النّماذج القرآنيّة التي تخصّ الأسلوب الأول ، إذ أنّ حديث القرآن عن نوح عليه السّلام وقومه بعد دعوته لهم بنبذ الأصنام وعبادة الواحد القهار ، وبأنواع الدّعوة ليلاً ونهاراً سرّاً وعَلانيّة بالترغيب تارةً والترهيب أخرى ، وبأسلوبٍ حان في إشفاق الأخ النّاصح الأمين وصدق الرّائد لأهله ، ولكن لم ينجح هذا فيهم ، بل استمرّ أكثرهم على الضلالة والطغيان وعبادة الأوثان لذا : ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ ﴾الأعراف: ٦٠. السّادة الكبراء منهم : ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾الأعراف: ٦٠ ، فردّ عليهم برفقٍ ردّ الواثق من نفسه والمتيّقن بدعوته

ورسالته مع ربط الجأش ودماثة الأخلاق فلم يقابل قذاعتهم بمثلها ، بل ردّ عليهم بأسلوبٍ لطيفٍ فاكتفى بنفي الضلالة عن نفسه : ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ ﴾ الأعراف: ٦١ ، كما اكتفى بنفي السّفاهة ، أي رقة الحلم والطيش فـ: ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ ﴾ الأعراف: ٦٧ ، فلم يردّ النفي منه على لفظ ما قالوه ولم يأتِ بالتركيب لستُ في ضلال مبين ، بل جاء في غاية الحسن والجمال من نفي أن يلتبس به ويختلط ضلالة ما واحدة فأنّى يكون في ضلال ، فهذا أبلغ من الانتفاء من الضلال إذ لم يعتلق به ولا ضلالة واحدة ، وفي ندائه لهم ثانياً والإعراض عن جفائهم ما يدلّ على سعة صدره والتلطّف بهم .(53)

قال الزمخشري: " وفي إجابة الأنبياء عليهم السّلام من نسبهم إلى الضلالة والسّفاهة بما أجابوهم من الكلام الصّادر عن الحلم والإغضاء وترك المقابلة بما قالوا لهم مع علمهم بأنّ خصومهم أصل السّفاهين وأسفلهم أدب حسن وخلق عظيم ، وحكاية الله عزّ وجل عنهم ذلك تعليم لعباده كيف يُخاطبون السّفهاء ، وكيف يغضون عنهم ويسبلون أذيالهم على ما يكون منهم " .(54)

.. حتى بيّن عليه السّلام فلستُ كما تزعمون ، بل جئتُ لهدايتكم ونصحكم وما أنا إلا رسول ربِّ العالمين الذي يقول للشيء كن فيكون. ولم يتركهم أو ييأس منهم بل بقي: ﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ ﴾ الأعراف: ٦٢ . وظيفتي تبليغكم ببيان توحيده وأوامره ونواهيه ، على وجه النصيحة لكم والشفقة عليكم .(55)

وهذه دعوة صريحة لإخواننا الدّعاة المُخلصين والمُصْلحين ، فإذا ما أنعمنا النّظر في هذه الآية ، رأينا أنّ المقصود منها إفادة التّجدّد ، وأنّه غير تارك التّبليغَ من أجل تكذيبهم تأييساً لهم من متابعته إيّاهم ، على الرّغم من مبالغة هؤلاء المشركين في السَّفَاهَةِ عليه ، ثم إنَّهُ في اليوم الثّاني كان يعودُ إليهم ، ويدعوهم إلى الله كما ذكر تعالى عنه : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ ﴾ نوح: ٥ ، ولكثرة العود إلى تجديد الدّعوة في كلِّ يوم وفي كلِّ ساعةٍ ، لا جَرَمَ ذكره بصيغة الفعل فقال: ﴿ وَأَنصَحُ لَكُمْ ﴾ .(56)

فكان ردّهم وحوارهم آنذاك أن أنكروا نبوّته ونصبوا له العداوة في كلِّ وقتٍ وحين ، بعد لجوئهم إلى محاولة سدّ منافذ الحوار معهم فقالوا: ﴿ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا ﴾ هود: ٢٧ استهزاءً بل تنقصوه وتنقصوا مَنْ آمنَ به وتوعّدوهم بالرّجم والإخراج ونالوا منهم وبالغوا في أمرهم: ﴿ وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾

هود: ٢٧. بمجرد ما دعوتهم يا نوح استجابوا لك من غير نظرٍ ولا رويّةٍ .(57)

وهذا في حقيقة الأمر هو مدحٌ لِمَنْ آمنَ بنوحٍ عليه السّلام ؛ لأنّ الحقّ الظاهر لا يحتاج إلى رويّةٍ ولا فكرٍ ولا نظرٍ بل يجب اتباعه والانقياد له متى ما ظهر .

وبعد تعنّدهم وتكذيبهم لرسالة نوح ومَنْ آمن معه خاطبهم بلطفٍ ولينٍ في الدّعوة إلى الحقّ ولم يكلّ أو يملّ حتى : ﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ أَنُلۡزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ هود: ٢٨. أنا نبيٌّ ورسولٌ إليكم فإذا كنتم لم تفهموا هذه البيّنة ولم تهتدوا إليها : ﴿أَنُلۡزِمُكُمُوهَا﴾ أي: أنغصبكم بها ونجبركم عليها؟ ﴿وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ﴾ ليس لي فيكم حيلة والحالة هذه ، كما أنّني لا أريد منكم أُجرةً على إبلاغي إيّاكم ما ينفعكم في دنياكم وأخراكم: ﴿وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ﴾هود: ٢٩ ، ولنْ أطلبَ ذلك إلا من اللهِ تعالى الذي ثوابه خيرٌ لي وأبقى ممّا تُعطونني أنتم: ﴿إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۚ﴾هود: ٢٩ ، ثمّ: ﴿ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٞ﴾هود: ٣١.. فأدّعي فضلاً عليكم بالغنى حتى تجحدوا فضلي بقولكم: ﴿وَمَا نَرَىٰ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلِۭ﴾هود: ٢٧ ، ﴿وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ﴾ ، حتى أطلع على ما في نفوس أتباعي وضمائر قلوبهم وهو معطوفٌ على: ﴿ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ ﴾ أي: لا أقول عندي خزائن الله ، ولا أقول أنا أعلم الغيب: ﴿وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٞ﴾ قال ذلك ؛ لأنّ المَلك يقدر على ما لا يَقدر عليه الآدميٌّ ويُشاهدُ ما لا يُشاهدُهُ الآدميُّ ، يُريد لا أقول لكم شيئاً من ذلك فتنكرون قولي وتجحدون أمري: ﴿إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ﴾الأنعام: ٥٠ أي: ما آتيكم به فمن وحي الله تعالى ، وذلك غير مستحيل في العقل مع قيام الدّليل والحجج البالغة: ﴿وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزۡدَرِيٓ أَعۡيُنُكُمۡ﴾هود: ٣١ ، ولا أحكم على من استرذلتم من المؤمنين لفقرهم: ﴿لَن يُؤۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيۡرًاۖ﴾هود: ٣١ في الدّنيا والآخرة لهوانه عليه مساعدة لكم ونزولاً على هواكم: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمۡۖ﴾هود: ٣١، من صدق الاعتقاد وإنّما على قبول ظاهر إقرارهم إذ لا أطلع على خفي أسرارهم: ﴿إِنِّيٓ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾﴾هود:٣١ إن قلتُ شيئاً من ذلك.(58)

.. وهكذا ينبغي للدّاعية أن يكونَ في هذا العصر ، قال تعالى: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾طه: ٤٤ ، وقال: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ

﴿أَحْسَنُ﴾ النحل: ١٢٥ ، وليس خطاب نوح المتقدّم من هذا ببعيد بل هو عينه . ثمّ حاورَ هؤلاء المتعنّدون نوحاً وطلبوا منه أن يطرد ويبعد من آمن منهم بالله وبنبوّته استكباراً وتعجيزاً ووعدوه أن يجتمعوا به آنذاك ، فأبى عليه السّلام وقال بكلّ أدبٍ: ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾ هود: ٢٩ ، وقال: ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٥﴾﴾ الشعراء: ١١٤ - ١١٥ فأخاف إن طردتهم أفلا تذكرون: ﴿وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ﴾ يعني من أتباعه ﴿لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ إِنِّىٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ هود: ٣١ لا أشهد عليهم بأنّهم لا خير لهم عند الله يوم القيامة - وهذا من آدب حسن الظنّ بالنّاس- والله أعلم بهم وسيُجازيهم على ما في نفوسهم إن خيراً فخير وإن شرّاً فشر ، لذا أجابهم عند اعتراضهم: ﴿قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى ۖ لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾﴾ الشعراء: ١١١ - ١١٣.

والدّعاة اليوم غير مسؤولين عن بواطن النّاس ، بل يجب علينا أن نحسن الظنّ بهم جميعاً .

وبعد هذا الحوار وهذا الجهد الذي بذله نوح عليه السّلام مع قومه بقوا على ضلالتهم وغيّهم في اعتراضهم على نبوّته وما أرسل به: ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً ۖ مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾﴾ المؤمنون: ٢٤ ..حتى وصلَ الأمرُ بهم بان يصفوه بالجنون- حاشاه- ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾﴾ المؤمنون: ٢٥. ووصّوا أتباعهم بعدم الإيمان به وبدعوته ومُحاربته ومُخالفته وذلك كلما انقرض جيلٌ منهم، لا بل كان الوالد حينذاك إذا بلغ ولده وعقل عنه كلامه ، وصّاه فيما بينه وبينه ، ألا يؤمنَ بنوح أبداً ما عاش ودائماً ما بقي ، فهدّدوه وتجرّئوا: ﴿قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾﴾ الشعراء: ١١٦ ، فكانت سَجَايَاهم تأبى الإيمان واتباع الحقّ ، فعدلوا بعد تلك المحاورة بينهم وبين نوح إلى التجبر والتوعد فلما سمع نوحٌ قولَهم هذا: ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾﴾ الشعراء: ١١٧ . أصرّوا على تكذيبي ولم يسمعوا قولي ولا أجابوا دعائي . ولشدّة حرصه عليه السّلام على إيمانهم يُعاودُهُ الحنينُ إلى استمالتهم فيذكرهم بأنّه ناصحٌ لهم أمينٌ فيما يدعوهم ، ولكن يحتفظ بالسّياق الذي يتطلبه الردُّ ، وهو أنّه مجرَّد رسول وقد أدّى الرّسالة بأمانةٍ ، فالخصومة الآن ليست بينهم وبين الرّسول ؛ لأنّهم رفضوه ، ولكنّها بينهم وبين مَنْ أرسله ، وهو الله سبحانه

، وحينئذٍ: ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِيٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ﴾هود: ٣٤ .. فكانت النتيجة: ﴿فَٱفْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾﴾الشعراء: ١١٨ ، أحكم بيني وبينهم حكماً .(59)

وبعد مبدأه الأوّل معهم وهو التبليغ والنّصح مع الإخلاص لهم في تبيين الرّشد والسّلامة في العاقبة شريطة إعلان عبوديّتهم لله وحده ، قال: ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾﴾الأعراف: ٦٢ . من بطشه بكم وهو مآل أمركم إذا لم تفردوه بالعبادة ، فنبّه على مبدأ أمره ومنتهاه معهم . وعلى الرّغم من ذلك وفقده لصلته هو بهم ، لم ييأس من صلتهم بالله عسى أن يهتدوا إليه ، فكرّر تذكيرهم به سبحانه ، وأنّه ربهم لا شريك له ، وأنّهم لا بدّ إليه راجعون: {هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيهِ تُرْجَعُون} [هود: 34] . فمن يرد الله فتنته فلن يملك أحد هدايته ، هو الذي يهدي من يشاء ويضلّ من يشاء وهو الفعّال لما يُريد ، العليم بمن يستحق الهداية والتوفيق ومن يستحقّ الغواية - كلٌّ حسب عمله- وله الحِكمة البالغة والحُجّة الدّامغة .(60)

ولم يقل هذا عليه السّلام إلا بعد تلك المُعاناة وتلك المراحل التي قطعها والأشواط التي بذلها والعاقل يعي ذلك كله ويجعله نُصب عينيه عند دعوته ، إذ رغم هذا الحوار الهادف كذّبوه ، فكانت عاقبتهم أن أغرقهم الله بالطوفان وأنجى نوحاً ومن آمن معه ، وكذلك ينجّي الله عباده المتقين .

ونخلص بهذا إلى أنّ نوحاً عليه السّلام قد استقصى كلّ حججهم وهجومهم ، وردّ على كلّ فقرة ردّاً جميلاً محدّداً واضحاً لا لبس فيه كما تقدّم ، مُبدياً لهم في ذلك حرصه الشديد على تأليفهم وعدم تنفيرهم ، ولذلك يُكرّر في كلّ فقرة: ﴿يَٰقَوْمِ﴾ إشعاراً منه بأنه واحد وفرد منهم مع رقة إسلوبه ولين جانبه ، فضلاً عن تحاشي كلّ ما يُؤذي نفوسهم من لفظٍ أو معنى ، وأكثر من هذا تحاشيه الرّدّ على إيذائهم وله القدرة على ذلك بإذن الله تعالى . والتزامه عليه السّلام المنطق العقلي الذي يتفق عليه العقول كلها ولا ينكره الخصوم أنفسهم ، كإلزامهم الحُجّة في أنّه لا يطلب منهم أجراً ، وحتى فيما يثقل على نفوسهم لتعوّدهم عليه كأوضاع الفوارق الاجتماعيّة بين الأغنياء والفقراء والسّادة والدّهماء ، إذ تعوّد على ذلك ، ولذا فإنّه عليه السّلام أبدى رغبته في االرّفق بهم ، على افتراض مُجاراتهم فيما يطلبون ، فيفترض أنّه طرد هؤلاء الفقراء الضعفاء إرضاءً لمدّعيّ السّيادة منهم ، ولكنّه يعود بالسّادة إلى المنطق العقليّ حين يوجّه إليهم هذا السّؤال: ﴿وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ﴾هود: ٣٠ .(61)

وهكذا يطرح القرآن حواره ليؤكد في أكثر من موضع ، خطأ الفكرة التي كان يزعمها قومُ نوح عليه

السّلام بأنّ النّبيَّ لا بُدَّ أن يكونَ مَلكاً .

وتمتدّ القضيّة إلى بقيّة الأنبياء كما حدّثنا بذلك القرآن .. فقال عن قوم هود: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ المؤمنون: ٣٣ ، حتى توعّدوهم بنتيجةٍ كاذبةٍ: ﴿ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ المؤمنون: ٣٤ ، وأصرّوا على غيّهم وضلالتهم ، فـ: ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ ﴾ الأعراف: ٦٦ رادّين لدعوته ، قادحين في رأيه: ﴿ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ الأعراف: ٦٦ ما نراك إلا سفيهاً غير رشيد ، ويغلب على ظنّنا أنك من جملة الكاذبين .. حتى انقلبت عليهم الحقيقة واستحكم عماهم حيث رموا نبيّهم عليه السّلام بما هم متصفون به ، وهو أبعد الناس عنه ، فإنّهم السّفهاء حقاً الكاذبون، وأيّ سفه أعظم ممّن قابل أحقّ الحقّ بالرّد والإنكار ، وتكبر عن الانقياد للمرشدين والنصحاء ، وانقاد قلبه وقالبه لكل شيطان مريد ، ووضع العبادة في غير موضعها، فعبد من لا يغني عنه شيئا من الأشجار والأحجار؟ وأيّ كذب أبلغ من كذب من نسب هذه الأمور إلى اللّه: ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ ﴾ الأعراف: ٦٧ بوجهٍ من الوجوه ، بل هو الرّسول المرشد الرشيد: ﴿ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ ﴾ الأعراف: ٦٧ - ٦٨ فالواجب عليكم أن تتلقوا ذلك بالقبول والانقياد وطاعة ربّ العباد .(62)

وهذا نبيُّ الله صالح عليه السّلام إذ اتهموه بالسّحر وكذبوه أيضاً فقالوا له : ﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ الشعراء: ١٥٣ فحاورهم بأحسن العبارات وألطفها مع لين الجانب: ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ ۖ فَمَا تَزِيدُونَنِى غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾ ﴾ هود: ٦٣ ، غير أنّهم تجبّروا وعتوّا عتوّاً كبيراً فقالوا: ﴿ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ ﴾ الشعراء: ١٥٤- ١٥٦ يا قوم اعبدوا الله وحده لا شريك له فما لكم إله يجوزُ لكم أن تعبدوه غيره ، وها قد جاءتكم حُجَّة وبرهان على صدق ما أقول وحقيقة ما إليه أدعو من إخلاص التوحيد لله ، وإفراده بالعبادة دون ما سواه وتصديقي على أنّي له رسول . وبيِّنتي على ما أقول وحقيقة ما جئتكم به من عند ربي ، وحُجّتي عليه ، هذه الناقة التي أخرجها الله من هذه الهَضبة ،

دليلاً على نبوّتي وصدق مقالتي ، فقد علمتم أن ذلك من المُعجزات التي لا يقدر على مثلها أحدٌ إلا الله .(63)

وهذا من أروع الحوارات إذ أبدى عليه السّلام الرّحمة والشفقة للمُحاوَر أوّلاً من دون الإسراع في

إقناعهِ مباشرة . وكذلك يُحدّثنا القرآن عن قوم شعيب : ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ الشعراء: ١٨٥- ١٨٦ ، وبعد هذا الإصرار والتعنّد والمُكابرة تـرك مُحـاورتهم ولم يُلاسـنهم حتـى فـوّض أمـرهم إلى الله : ﴿ قَالَ رَبِّيٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ ﴾ الشعراء: ١٨٨ .

إذن فهذه مشاهد تبيّن عدم تقبل المُعرضين لنتائج الحوار الذي أبداه الأنبياء والمرسلون وهي مشاهد مؤثرة ولمسات مثيرة ، ممّا يُدلل على حسن آداب الأنبياء ، إذ أنهم كانوا يُصغون جيّداً لمُحاوريهم ، بل كانوا يتفضلون فيمنحونهم الفرصة الأولى للإدلاء بآرائهم وحُججهم ومهما تكن نتيجة الحوار . **وأمّا عن الأسلوب الثاني** في مُحاورة القرآن للمشركين لإثبات النبوّات والمستقلّ في مواجهة الرّسول ﷺ لهذه الاعتراضات .. إذ بدأ الرّسول كأسلافه من الأنبياء بالدّعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، وأعلن أنّه رسولٌ من عند الله وأنّ الوحي ينزل عليه تباعاً ، فعارضه قومه بشراسةٍ وعنفٍ من دون تحكيم للعقل والمنطق السّليم في إبعاد تلك الدّعوة العالميّة الخيّرة ، قال تعالى : ﴿ وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ ﴾ الفرقان: ٧ ما لهذا الذي يزعم الرِّسالة وفيه استهانة وتهكم .(64)

﴿ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي ٱلْأَسْوَاقِ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾ ﴾

الفرقان:٧- ٨ ، زعم هؤلاء خمسة أمور، ظنّاً منهم أنها تُخلُّ برسالته ، فبدأوا يطعنون في صفاته فاعترضوا على أكله للطعام ؛ لأنّهم أرادوا أن يكونَ الرّسول مَلكاً وعيّروه بالمشي في الأسواق حين رأوا الأكاسرة والقياصرة وملوك الجبابرة يترفعون عن الأسواق ، فقالوا هذا يطلب أن يتملك علينا فمـا بالـه يُخـالف سـيرة الملـوك .(65) وردّ الله شـبهتهم هـذه بقولـه : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي ٱلْأَسْوَاقِ ﴾ الفرقان: ٢٠ كما كذّبوه ؛ لأنّه لم يكن معه مَلك يشهد له ويُصدّقه ، والله قد شهدَ له ولإخوانه من الأنبياء بذلك : ﴿ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ الرعد: ٣٨ وادّعوا أنّه لم يُلقَ إليه كنزٌ من السّماءِ فينفقه فلا يحتاج إلى طلب المعايش ، ثمَّ يتبجّحوا فيقولون إن لم يكن له كنزٌ فلا أقلَّ من أن يكونَ له بستانٌ يأكلُ من ثمره.(66) ثمّ أعقبوا قولتهم هذه الخائبة بدعوى أنّه رجلٌ مسحورٌ . ولّما انهارت حُججهم وتلاشت شبهاتهم ، ثارت كوامن الأحقاد في نفوسهم فرموه ﷺ بالجنون –حاشاه- : ﴿ وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي

﴿نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ۝٦﴾ الحجر: ٦ .

فهذه الحِوارات الإنكاريَّة هي في غاية الرّكاكة ، وبطلانها ظاهرٌ لكلّ ذي لبٍّ عاقل: ﴿انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ﴾ الإسراء: ٤٨ ، أي قالوا فيكَ الأقوال الشاذة واخترعوا لكَ الأحوال النادرة: ﴿فَضَلُّوا﴾ عن الطريق الموصل إلى معرفة خواص النبيِّ والمميز بينه وبين المتنبي فخبطوا خبطاً عشوائيّاً: ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ۝٤٨﴾ الإسراء: ٤٨ . إلى القدح في نبوّتك أو إلى الرّشد والهدى .(67) فيكون شأنه ﷺ كغيره من الرّسل يأكلُ الطعامَ ويمشي في الأسواق ؛ لطلب المعيشة ويتزوَّجُ النّساءِ ويكون له أولادٌ ولا يقدح ذلك رسالته كما لم يقدح رسالات الأنبياء من قبله ، وهذه سنّة الله في رسله بأن يجعلهم من البشر ؛ كي يُناسب حالتهم البشريّة: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ۝٩﴾ الأنعام: ٩ .. فخاطبهم القرآنُ الكريمُ بأنْ يتمهّلوا ويتفكروا في أمر صاحبهم ولا يستعجلوا في الحكم عليه وهو الذي نشأ بينهم وَتَرَعْرَعَ على مرأى ومسمع منهم ويعرفونه حقّ المعرفة ، بل كما يعرفون أبناءهم بالصّدق والأمانة ورجاحة عقله: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ۝٤٦﴾ سبأ: ٤٦ فبقوا على إصرارهم وعنادهم فكانت النّتيجة: ﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ۝٤١﴾ يونس: ٤١ . وهذا بعد إحساسه باليأس من استجابتهم وميلهم إليه ، فبدأ ينسلخ منهم نفسيّاً، ولذلك تحاشى حينئذٍ ما تعوّدناه منه ﷺ من استمالتهم . ﴿اصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ ص: ١٧ ، وهي الإشارة إلى الطريق المطروق في حياة الرّسل ، الطريق الذي يضمّهم أجمعين ، فكلهم سار في هذا الطريق ، كلهم عانى وكلهم ابتلي وكلهم صبر ، وكان الصّبر هو زادهم جميعاً وطابعهم جميعاً ، كلٌّ حسبَ درجته في سلم الأنبياء لقد كانت حياتهم كلها تجربة مفعمة بالابتلاءات مفعمة بالآلام ؛ وحتى السرّاء كانت ابتلاء وكانت محكاً للصبر على النعماء بعد الصّبر على الضرّاء ، وكلتاهما في حاجة إلى الصّبر والاحتمال ، ولاسيّما في الحوار مع المشركين وقد قالوا: ﴿هَٰذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾ ص: ٤ ، وقالوا: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ۝٥﴾ ص: ٥ ، وقالوا: ﴿أَأُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِن بَيْنِنَا﴾ ص: ٨.. وغير ذلك كثير . والله يوجّه نبيّه إلى الصّبر على ما يقولون ، ويوجّهه إلى أن يعيشَ بقلبه مع نماذج أخرى غير هؤلاء الكفار ، نماذج مستخلصة كريمة ، هم إخوانه من الرّسل الذين كان يذكرهم ﷺ

ويحسّ بالقرابة الوثيقة معهم ويتحدّث عنهم حديث الأخوّة والنّسب والقرابة .(68)

فالحوار إذاً أجدى على الإسلام والمسلمين من التقاطع والتدابر والانعزال ، أو العزلة أو الانغلاق والعنصريّة فهو يُحققُ المصلحة الإسلاميَّة ، بنشر الدّعوة بطريق هادئ ، كما لاحظنا فعله ﷺ في هذه المرحلة المكيَّة مع المشركين ولأنّ الحوار دليلٌ على الثقة بالنفس والمبدأ ؛ ولأنّ الإسلامَ كما عرفنا دين التسامح والتوازن والاعتدال ، ولا يُقرُّ ما يُسمَّى بالعنّف الفكريِّ والحربيِّ إلا للضرورة لقمع عُدوان المُعتدينَ واستخلاص الحقوق المغتصبة من الظلمة الغاصبين ، كما أنّ الإسلام في تكوين عقيدته وغرس الإيمان في النفس الإنسانيّة يعتمد على العقل والحِكمة ، والعلم وموازينه ، وتبادل الآراء المفيدة لإظهار الحقيقة ، وإيثار المصلحة وتوفير مناخ السّعادة ، والابتعاد الجدل العقيم ، ولا يغمط الإسلام ثقافة الآخرين ومعارفهم وتجاربهم لكنّه يُصحّح المعوجَّ منها أو الضارّ ، ويوجّه الناس للخير دون إجبار . ولا يُنكَر في الإسلام تفاوت المدارك والثقافات ، فيكون الإسلام طريق إنقاذ ونجاة ، وإرساء لمعالم الحِكمة والاعتدال .(69)

.. فهذه البراهين والحُجج التي قدّمها القرآنُ الكريمُ في مُخاطبة عقول هؤلاءِ وبدون تكلف ، لدليلٌ واضحٌ على بسط الحوار مع أمثالهم وحتى قيام السّاعة وبدون ملل ؛ لأجل إيضاح صدق صاحب الرّسالة نبيّنا مُحمّدٍ ﷺ ومعالمها الخالدة ، التي لا تزال معجزاته تتحاور وتتحدّى الثقلين الجنَّ والأنسَ وهي القرآنُ .

المبحث الثالث

حوار القرآن مع المشركين في إثبات البعث والجزاء

يُعدّ الحوار في هذه المسألة من أهمّ المسائل التي شغلت الفكر الإنساني منذ القدم ، وكيف أنّ الإسلام واجه أمام هذه الفكرة تحدّيات مضادّة معتمدة على الظنّ واستبعاد أن يتحوّل الجماد الفاقد لعنصر الحياة إلى حياة ، ومن ثمّ يعود الإنسان إليها بعد موته ...، وكيف أنّ الحوار القرآني قد عالج تلك القضية من خلال التدرّج في خطوات الإقناع معتمداً العقل والحسّ في ذلك ؛ ليكون منسجماً مع الواقع البشري في مواجهة تلك الفكرة ، وسنجد أنّ هذا الأسلوب ينطلق من الحِكمة الرّائعة عندما يُفاجئ الخصم بالحقيقة التي يُنكرها وهي تتحدّاه من خلال قناعاته الذاتيّة التي تُحيط به من كل جانبٍ دون أن يستطيع منها فكاكاً ، أو يجد للهروب منها سبيلاً .

فحدّثنا القرآن عن ذلك بأدلةٍ وبراهين قاطعة توجب الإيمان بيوم البعث والجزاء ، وعرضَ لنا ذلك في نماذج حيّة وضمّنها شبه المنكرين لذلك اليوم ، ولم يتركها تمرّ هكذا دون حوارٍ أو مناقشةٍ وفق

المنطق السّليم وإبطال تلك المُلابسات بالبراهين العقليّة التي من شأنها تقريبها إليهم تدريجيّاً ، وإزالة فكرة الفناء الأبدي . فإنكار هذه الفكرة ممتدّة في الأمم الماضية عبر القرون والأعصار، قال تعالى:

﴿ بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ (٨١) قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ (٨٢) لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (٨٣) ﴾ المؤمنون: ٨١ - ٨٣ ، ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ (١٢) وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ (١٣) وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ (١٤) أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ (١٥) ﴾ ق: ١٢ - ١٥ .

فحاورهم القرآن بعدة استدلالات : بالنشأة الأولى ، وبمن أماتهم الله ثمّ أحياهم وبخلق الأكوان كالسّماوات والأرض وخلق النّباتات المختلفة ، وبإخراج النّار من الشجر الأخضر ، وكيفية اختلاف النّاس في الدّنيا وإنّ حكمة الله وعدله يقتضيان الجزاء ، وتشبيه النّوم بالموت واليقظة بالحياة بعد الموت .. وهكذا . وتكاد أن تكون هذه هي جميع الاستدلالات القرآنيّة التي ضربت لهم ؛ لتدلّ على قدرته سبحانه في إعادة خلقه . وبما أنّ هذه الاستدلالات بحاجة إلى دراسةٍ تحليليّةٍ مطوّلةٍ ، بَيْدَ أنّني أعرضتُ عن الإطالة ، وسأحاول ذكرها إن شاء الله تعالى استشهاداً وبشكل يُلائم حجم البحث . قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (٥) ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٦) وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ (٧) ﴾ الحج: ٥- ٧.

نقف هنا أمام ظاهر عرض هذه الآية والتي تخاطب أهل مكة ، **فنتلمّس منها لمستين :**

اللمسة الأولى : الحياة والوفاة ، وهي متصلة بكلّ فرد وبكلّ نفس ، والحياة حبيبة والتفكر في أمرها قد يردّ القلب الصّلد إلى شيء من اللين ، وإلى شيء من الحساسيّة بيد الله ونعمته وقدرته ، والخوف عليها قد يستجيش وجدان التقوى والحذر والالتجاء إلى واهب الحياة . وصورة الشيخوخة حين يُردّ الإنسانُ إلى أرذل العُمُر ، فينسى ما كان قد تعلم ، ويرتدّ إلى مثل الطفولة من العجز والنّسيان والسّذاجة . هذه الصورة قد ترد النّفس إلى شيء من التأمّل في أطوار الحياة ، وقد تغضّ

من كبرياء المرء واعتزازه بقوّته وعلمه ومقدرته ويجيء التعقيب : إن الله عليم قدير ليردّ النفس إلى هذه الحقيقة الكبيرة ، بأنّ العلم الشامل الأزليّ الدّائم لله ، وأنّ القدرة الكاملة التي لا تتأثر بالزّمن هي قدرة الله .(70) ودخول المشركين في هذا الخطاب أظهر من دخولهم في خطاب السّاعة ؛ لأنّهم الذين أنكروا البعث ، فالمقصود الاستدلال عليهم .

اللمسة الثانية : في تنشئة الحياة وإعادتها ، والدّعوة إلى النّظر في أنفسهم ، وفي الأرض من حولهم ، إذ أنّ الدّلائل تنطق لهم بأنّ الأمرَ مألوفٌ وميسورٌ ، ولكنّهم هم الذين يمرّون على الدّلائل في أنفسهم وفي الأرض غافلين . إنّ البعث إعادة لحياة كانت ، فهو في تقدير البشر أيسر من إنشاء الحياة . وإن لم يكن - بالقياس إلى قدرة الله - شيء أيسر ولا شيء أصعب ، فالبدء كالإعادة أثر لتوجّه الإرادة : ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ يس : ٨٢ .

فالقرآن يُحاور ويُخاطب ويأخذ البشر بمقاييسهم ومنطقهم وإدراكهم ، فيوجّه قلوبهم إلى تدبّر المشهود المعهود لهم وهو يقع لهم كلّ لحظةٍ ، ويمرّ بهم في كلّ برهةٍ ، وهو من الخوارق لو تدبّروه بالعين البصيرة ، والقلب المفتوح والحسّ المدرك ، ولكنّهم يمرّون به أو يمرّ بهم دون وعي ولا انتباه . وتبقى الأسئلة الواقعيّة تفرض نفسها عليهم : مَنْ أنتم ؟ من أينَ جئتم ؟ وكيف كنتم ؟ وفي أيّ الأطوار مرّرتم ؟ ..

﴿فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٍ﴾ والإنسان ابن هذه الأرض ، من ترابها نشأ ومن ترابها تكوّن ، ومن ترابها عاش وما في جسمه من عنصر إلا له نظيره في عناصر أمّه الأرض ، فكلّ عناصره المحسوسة من ذلك التراب .

ولكن أين التراب ، وأين الإنسان ؟ أين تلك الذرّات الأوليّة السّاذجة من ذلك الخلق السّويّ المركب ، الفاعل المستجيب ، المؤثر المتأثر ، الذي يضع قدميه على الأرض ويرف بقلبه إلى السّماء ؛ ويخلق بفكره فيما وراء المادة كلها ومنها ذلك التراب . إنها نقلة ضخمة بعيدة الأغوار والآماد ، تشهد بالقدرة التي لا يعجزها البعث وهي أنشأت ذلك الخلق من تراب !! والذي لا سبيل إلى أكثر من ملاحظته وتسجيله دون التطلع إلى خلقه وإنشائه ، مهما طمح الإنسان ، وتعلق بأهداب المحال ؛ لأنّ المسافة بين عناصر التراب الأوليّة السّاذجة والنّطفة المؤلفة من الخلايا المنويّة الحيّة مسافة هائلة ، تضمر في طيّاتها السرّ الأعظم سرّ الحياة السّرّ الذي لم يعرف البشر عنه شيئاً يذكر بعد ملايين الملايين من السّنين ، ويبقى ذلك سرٌّ تحوّل الأطوار .(71) ثمّ يمضي السّياق القرآني في تذكير المنكرين بأطوار ذلك الطفل بعد أن يرى النّور : ﴿ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡ﴾ فتستوفوا نموّكم العضلي

ونموّكم العقلي ، ونموّكم النّفسي . وكم بين الطفل الوليد والإنسان الشديد من مسافات في المميزات أبعد من مسافات الزمان !! ثمّ تستطرد الآية وتذكّرهم بمشاهد الخلق والإحياء في الأرض والنبات ، بعد عَرض مشاهد الخلق والإحياء في الإنسان .(72)

فيتضح لنا من هذا العَرض كيف أنّ الله تعالى حوارَ هؤلاء ، وبيّن لهم تكوينهم الكائن في تلك النّقطة العالقة ؟ وإنّ هذه النّقطة الصّغيرة الضئيلة هي هذا الإنسان المعقد المركب ، الذي يختلف كلّ فرد من جنسه عن الآخر ، فلا يتماثل اثنان في هذه الأرض في جميع الأزمان ، والذي طالما يُجادل في آيات الله .. وهذا من بدائع الصّور الخطابيّة في مُحاكاة العقول . ومن الملفت للنّظر أنّ القرآن الكريم لم يُخاطب المشركين الوثنيّين بقوله : يا أيها المشركون، بل كان يُناديهم بقوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾ ولم يرد في القرآن حوارٌ أو خطابٌ للمشركين بعنوان الشرك أو الكفر ، إلا في سورة (الكافرون) ؛ لنفي أيّ تشابه أو التقاء بين عقيدة التوحيد وعقيدة الشرك ولقطع الأمل عند المشركين أن يتنازلَ المسلمونَ عن أساس عقيدتهم ، وهو التوحيد ولهذا كرّر فيها المعنى الواحد بصيغ عدّة تأكيداً وتثبيتاً ، ومع هذا ختمها بهذه الآية الكريمة التي تعدّ غايةً في السّماحة : ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝٦ ﴾ الكافرون: ٦ ، ومثلها قوله تعالى : ﴿ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ۝٤١ ﴾ يونس: ٤١ . ومن العبر العظيمة التي ضربها الله تعالى لهم أيضاً وحاورهم بها تقريباً لحواسهم أن استدلّ بإخراج النّار مع حرّها من الشجر الأخضر على الرّغم من رطوبته وذلك بقدرته فقال : ﴿ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ۝٨٠ ﴾ يس: ٨٠ ، ثمّ يسألهم عن ذلك فيقول : ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي تُورُونَ ۝٧١ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ۝٧٢ ﴾ الواقعة: ٧١- ٧٢ .

قال الرّازي : " ووجهه هو أنّ الإنسان مشتمل على جسم يحسّ به حياة سارية فيه وهي كحرارة جارية فيه ، فإن استبعدتم وجود حرارة وحياة فيه فلا تستبعدوه فإنّ النار في الشجر الأخضر الذي يقطر منه الماء أعجب وأغرب وأنتم تحضرون حيث منه توقدون ، وإن استبعدتم خلق جسمه فخلق السّماوات والأرض أكبر من خلق أنفسكم فلا تستبعدوه فانّ الله خلق السّماوات والأرض " .(73)

﴿ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ۝٤٩ ۞ قُلْ كُونُواْ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ۝٥٠ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ ٱلَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ

﴿مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾﴾ الإسراء: ٤٩- ٥١ .. وهنا الاستدلال على إمكان البعث بخلق الأكوان ، مثل خلق السّماوات والأرض من حيث أن خلقها أعظم من خلق الإنسان: ﴿وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾﴾ الإسراء: ٩٨- ٩٩ .

فكانت قضيّة البعث مثار جدل ونقاش طويل بين الرّسول ﷺ والمشركين ، واشتمل القرآنُ الكريمُ على الكثير من هذا الحوار الجدلي ، مع بساطة هذه القضيّة ووضوحها عند من يتصوّر طبيعة الحياة والموت ، وطبيعة البعث والحشر فعرضها القرآن الكريم على هذا الضوء مرّات ، ولكنّ القوم لم يكونوا يتصوّرونها بهذا الوضوح وبتلك البساطة ؛ فكان يصعب عليهم تصوّر البعث بعد البلى والفناء المسلط على الأجسام: ﴿وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ ذلك أنّهم لم يكونوا يتدبّرون أنهم لم يكونوا أحياء أصلاً ثمّ كانوا وأنّ النشأة الآخرة ليست أعسر من النشأة الأولى . وأنّه لا شيء أمام القدرة الإلهيّة أعسر من شيء ، وأداة الخلق واحدة في كلّ شيءٍ: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ ، فيستوي إذن أن يكون الشيء سهلاً وأن يكون صعباً في نظر النّاس متى توجّهت الإرادةُ الإلهيّةُ إليه .(74) حتى كان الردّ على ذلك التعجّب : ﴿قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾ والعظام والرّفات فيها رائحة البشريّة وفيها ذكرى الحياة . والحديد والحجارة أبعد عن الحياة وهم لا يملكون أن يكونوا حجارة أو حديداً أو خلقاً آخر ولكنّه قول للتحدّي . وفيه أيضاً أنّ الحجارة والحديد جماد لا يحسّ ولا يتأثر ، وفي هذا إيماء من بعيد إلى ما في تصوّرهم من جمود وتحجر! ﴿فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا﴾ الإسراء: ٥١ من يردّنا إلى الحياة إن كنّا رُفاتاً وعِظاماً ، أو خلقاً آخر أشدّ إبغالاً في الموت والخمود؟ ﴿قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ الإسراء: ٥١ . وهو ردّ يرجع المشكلة إلى تصوّر بسيط واضح مريح . فالذي أنشأهم إنشاء قادر على أن يردّهم أحياءً ، ولكنّهم لا ينتفعون به ولا يقتنعون: ﴿فَسَيُنغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ﴾ الإسراء: ٥١ . ينغضونها علوّاً أو سفلاً استنكاراً واستهزاءً: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ﴾ الإسراء: ٥١ . استبعاداً لهذا الحادث واستنكاراً .. ﴿قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾﴾ الإسراء: ٥١ . فالرّسول لا يعلم موعده تحديداً ولكن لعله أقرب ممّا يظنّون ، وما أجدرهم أن يخشوا

وقوعه وهم في غفلتهم يكذبون ويستهزئون . ثمّ يرسم القرآنُ مشهداً سريعاً لذلك اليوم : ﴿ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾ ﴾ الإسراء : ٥٢ ، وهو مشهدٌ يُصوِّرُ أولئك المُكذِّبين بالبعث المُنكرين له وقد قاموا يلبّون دعوة الدّاعي وألسنتهم تلهج بالحمد .(75)

﴿ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ ﴾ يس : ٨١- ٨٢ . ومشهد آخر في وسطها : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٢١﴾ ﴾ الزمر : ٢١ ، ذكر تعالى هنا ما أنزله من السّماء من ماءٍ ، وأنّه سلكه ينابيع في الأرض ، أي : أودعه فيها ينبوعاً ، يُستخرج بسهولةٍ ويسر : ﴿ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ﴾ من بُرٍّ وذرة ، وشعير وأرز ، وغير ذلك : ﴿ ثُمَّ يَهِيجُ ﴾ عند استكماله ، أو عند حدوث آفة فيه : ﴿ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا ﴾ متكسّراً : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٢١﴾ ﴾ يذكرون بها عناية ربِّهم ورحمته بعباده ، إذ يسَّرَ لهم هذا الماء ، وخزنه بخزائن الأرض تبعاً لمصالحهم . ويذكرون به كمال قدرته ، وأنّه يُحيي المُوتَى ، كما أحيا الأرضَ بعد موتها ويذكرون به أنّ الفاعل لذلك هو المستحقّ للعبادة وحده .(76)

﴿ أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ۖ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ ﴾ يس : ٧٧- ٨١.

﴿ وَنَسِيَ خَلْقَهُ ﴾ : نسي الذي خلقه فسوّاه خلقاً سويّاً من ماءٍ مَهين ، ويعني بالمبين من : ﴿ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴾ إنّه يبين عن خصومته بمنطقه ويُجادل بلسانه فذلك إبانته ، فذهل عنها وترك ذكرها على طريق اللدد والمُكابرة والاستبعاد لما لا يستبعد : ﴿ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴾ لما دلَّ عليه من قصّةٍ عجيبةٍ شبيهة بالمثل وهي إنكار قدرة الله على إحياء المُوتى ، كما هم عاجزون عن ذلك .(77)

.. وهكذا نقرأ الأسلوب القرآني الهادئ مع الخصم الذي أنكر البعث ، مدّعياً إنكاره تعالى أو إنكار قدرته على بعث الموتى بعد فناء أجسادها ، إذ وجّه اللهُ نبيّه مُحمَّداً ﷺ إلى ردّ مقالة هذا الكافر في غير إيذاءٍ ولا عنفٍ ، بل فيما يشبه عتاب الودّ والتقريب إلى المُحاور .(78)

﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ الزمر: ٤٢ . وترد هنا صورة حسيَّة واقعيَّة أكثر في إثبات المعاد ، إذ أنّ الله يستوفي الآجال للأنفس التي تموت وهو يتوفاها كذلك في منامها - وإن لم تمت بعد- ولكنّها في النّوم متوفاة إلى حين ، فالتي حان أجلها يمسكها فلا تستيقظ ، والتي لم يحن أجلها بعد يرسلها فتصحو ، إلى أن يحل أجلها المسمَّى . فالأنفس إذاً في قبضته دائماً في صحوها ونومها ، وليس هنالك خارج على إرادته في هذا الملك كله ، يفعل ما يشاء، ولا يقدر على ذلك شيء سواه ، فجعل ذلك خبراً نبّههم به على عظيم قُدرته فلا مهرب ولا مفرّ من الرُّجوع إليه وحده في نهاية المطاف : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ .(79)

.. ثمّ يتجّه الحوار في اتجاهٍ يبتعد عن موضوع الإمكان والاستحالة ، والقدرة وعدم القدرة لينطلق بالفكرة في إطار الحِكمة من الوجود ، وليعتبر أنّ إنكار المعاد مساوٍ لفكرة العبث في الخلق ممّا يستحيل نسبته إلى الله تعالى وذلك في قوله : ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ ﴾ المؤمنون: ١١٥ . فتعالى الملك الحقُّ على أنْ يكونَ خلقه عَبَثاً ، أي: سدىً وباطلاً تأكلون وتشربون وتمرحون ، وتتمتعون بلذات الدُّنيا، وإذا لم يكن عبثاً فامتناعُ كونِهِ باطلاً أوْلَى . فبديهةَ العقلِ شاهدة بأنّ الموجودَ إمَّا واجبٌ لذاته ، وإمَّا مُمْكنٌ لذاته وشاهدة بأنَّ كلَّ مُمْكن لذاته فإنّه لا بدَّ وأن ينتهي في رجحانه إلى الواجب لذاته ، وإذا كان كذلك وجب أن يكونَ الخير والشرّ بقضاء اللهِ ، وإذا كان كذلك امتنع أن يكونَ المرادُ من الآية تعليلُ أفعال اللهِ تعالى بالمصالح .(80)

ومن خلال ما تقدَّم نجد الحوار القرآني ينطلق على أساس اعتبار البُرهان على الفكرة سلباً وإيجاباً ، أساساً للرّفض أو القبول ، ثمَّ مُحاولة تحريك الفكر الإنساني للبحث في التفاصيل للإحاطة بكلِّ جوانب الموضوع فإذا أدّى الحوارُ إلى النتيجة المتوخاة فقد حققنا الهدف منه ، وإذا لم تحصل منه

على نتيجةٍ حاسمةٍ فالموقف الحكيم في إطار الإيمان هو ترك كلّ فكرة تمارس حركتها بعيداً عن كلّ اعتداء وبغي ، ما لم تؤدّي تلك الحركة إلى الإخلال بالنّظام . إنّ الإسلام يمدّ يده إلى مُخالفيه في الرّأي ليُحاورهم ويُجادلهم بالتي هي أحسن . فالحوار إذاً ليس دعوة ، ولا مُناظرة ولا مُجادلة ، على الرّغم من طبيعته المتشعبة لكنّه صيغة جامعة وأسلوب من أساليب التقارب والتجاوب والتفاعل .

ولذلك فإنّ من شروط الحوار الجادّ الهادف أن يتصفَ بالحِكمة . والحِكمة هي جماع العلم والمعرفة ، من عناصرها الفطنة وحسنُ الفهم ، وعمق الوعي وسعة الإدراك والرّشد والتنبّه ، والقصد والاعتدال ، قال تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ البقرة: ٢٦٩.

أهمُّ نتائج البحث

وبعد هذه الجولة المتواضعة الشيِّقة في ظلِّ كتاب الله تعالى أخلص إلى ما يأتي ..

1- أوضحت هذه الدِّراسة مقوِّمات منهجيَّة الحوار القرآني ، وبأنَّه ينطلق من حقيقة الاختلاف بين البشر وما يستلزمها من حُريَّة لكلِّ إنسان ، تدعوهم إلى الاعتراف بالغير واحترامه ، وعدم السُّخريَّة منه والاستهزاء به والطعن فيه ممَّا يقتضي قبوله كما هو- أي قبول الاختلاف معه- وذلك بوساطة التبادل ومُماثلة المُعاملة للوصول إلى بلوغ غاية الحوار ، وهي الاتفاق على أساس يتمُّ منه الانطلاق .

2- صرَّحَ القرآنُ الكريمُ بجميع أنواع الخطاب وألوان الحُجج والبراهين ، معتمداً في الغالب العقل المجرَّد في إقناع النَّاس ، وكلٌّ على حسب فهمه ، ممَّا جعلهم يفهمون تلك الأدلة ، بوضوح مقدّماته ونتائجه، فمنهم من آمنَ واهتدَى ، ومنهم من ضلَّ فغوَى .

3- بيَّنت هذه الجولة أنَّ الأسلوب الناجح للحوار مع المُشرك ، يكمن في القول الحسن والصَّبر واللين والهدوء والرِّفق ، من غير غلظةٍ ولا عناد ولا عنف ولا تشدّد ولا تطاول - هذا إن لم يكن المُشرك مُحارباً أو مُبشراً في ديار المسلمين ، وإلا فمُقاتلته واجب شرعي- ، والصِّفات المتقدِّمة هي من أهمِّ الصِّفات التي ينبغي أن يتحلى بها الدَّاعية المُحاوِر ، إذ القرآن قد ألحَّ عليها في مواقف كثيرة - كما تقدَّم- .

4- تُعدُّ الحواراتُ اليوم بحدِّ ذاتها وسيلة ضروريَّة ، وخطوة حضاريَّة ، مهمَّة للغاية إذ بها تكرَّس المبادئ الحقَّة وهي تبليغ الحقِّ ونصرته ، وزهق الباطل وهزيمته ومُحاولة اللجوء إلى حلول إيجابيَّةٍ بعيدة عن الخلافات والعنف وتجاوز الصِّدامات والمُمارسات العدائيَّة ، وإن كان المسلمون يُعانون وما يزالون ، بيدَ أنَّه إذا لم يكن بيننا وبين المشركين حوار ، فلا نستطيع آنذاك تحقق الثمرة المرجوَّة ، وهي دخولهم في الإسلام .

5- إنَّ من شأن الحوار مع المشركين المنضبط وفق الآداب الشرعيّة ، يكون قادراً على تحقيق المزيد من التفاهم والتعايش والسَّير في طريق السَّلام والأمان ، شريطة أن يكون الحوار معهم أخذ وعطاء حتى يترجَّحَ الحقُّ وهو أحد الآراء المطروحة وتقريب وجهات النّظر ،

6- كلما كان إيمان المُحاور قويَّاً ، كلما كانت له القدرة على نجاح إجراء الحوار مع المشركين وتعميقه والإفادة منه ، وتتمثل هذه الإفادة في إمكان استيعاب ما عند الطرف الآخر ، مع ما يتطلبه هذا الاستيعاب من تجاوز الانغلاق على الذات في أنانيَّةٍ وانفراديَّةٍ .

7. أكدت هذه الدِّراسة أنَّ القرآنَ الكريمَ لم يقتصر في حواراته على طرح قضيَّةٍ مُعيَّنةٍ ، أو نوع مُعيَّنٍ كالعقيدة وحدها ، أو العبادات أو المعاملات ، بل شملَ جوانب الحياة كلها دينيَّة كانت أو دُنيويَّة ، وهذا يدلل على أنّ الحوار في القرآن مع الآخر كان غرضاً أساسيًّا ، وأسلوباً ناجحاً في تحقيق أغراضه الشاملة لكلِّ جوانب الإصلاح فرديَّة كانت أو جماعيَّة .

8- تبيّن لنا من خلال الحوارات القرآنيّة ، التأكيد على إظهار المُساواة للخصم وهي من الدَّرجات الرَّفيعة في هذا الميدان ، إذ إشعار الخصم بمُساواته مع مُحاورِهِ وبكلِّ وضوح أثناء المُحاورة ، تمنحه العدالة حين يشعر أنّه مساوٍ لخصمهِ ،

9- يسعى الحوار مع الآخرين إلى تحقيق الفهم والتفاهم معهم .. حتى صار وسيلة علميَّة وتعليميَّة لطرح التساؤلات الهادفة إلى تحقيق الفهم وإدراك المعنى ، فضلاً عن معرفة نقاط الالتقاء من أجل دعمها وتقويتها والتعرّف على نقاط الاختلاف من أجل فهمها والتقريب بينها مع عدم اتخاذ التخلص منها هدفاً للحوار ؛ وذلك لأنَّ نقاط الاختلاف تمثّل خصوصيّة التحاور .

10- بيّنت هذه الدِّراسة وبشكل جليٍّ ، أنَّ مفهومَ القرآنِ الكريم يكفلُ نسبة كبيرة من نجاح لقاءات التفاهم والتعايش والنقاش والتحاور ، ويدعوا إلى ذلك ، وهو مبدأ إنسانيٌّ حضاريٌّ سام يهدفُ إلى استبعاد وإقصاء سبل الاعتداء فهو يُقرِّبُ الأفكارَ والمَسافات ، وينسج أواصر التعاون والتقارب .

11- إنّ من بين المُشكلات العظيمة والمُعضلات الكبيرة التي تواجه الأمَّة الإسلاميَّة في المرحلة الرَّاهنة هي الخوف من الآخر وتجنُّب الحوار معه ؛ وذلك خوفاً من مُواجهة الآخر عقائديًّا ؛ لذا يحرصُ بعض الناس على استمرار توجيه التهم للآخر بالتآمر والاستهانة به والابتعاد عنه ، من غير حوار أو مُناظرة حتى يتركَ الحبلَ على الغارب وهذا ما يؤثر سلباً على نقاوة وصحوة هذا الدِّين وانفتاحه ، فمن الواجب بمكان أن لا نتهرَّبَ من الحوار مع المُشركين أو غيرهم ،

الهوامش مع ثبت المصادر والمراجع

1- ينظر : جمهرة اللغة : محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت321هـ) ، تح. رمزي منير بعلبكي ، ط1 دار العلم للملايين - بيروت 1987م : مادة : (ح و ر) : 1/ 525 ، لسان العرب : محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري (ت711هـ) ، ط1 دار صادر – بيروت : مادة: (حور) : 4/217 – 219 ، القاموس المحيط : محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت817) ، ط مؤسسة الرسالة – بيروت : مادة : (الحور) : 487 .

2- ينظر : التعريفات للجرجاني : علي بن محمد ، والمعروف بـ(الشريف الجرجاني ت816هـ) ، تح. إبراهيم الأبياري ، ط1 دار الكتاب العربي - بيروت 1405هـ : 106،287 ، التوقيف على مهمات التعاريف : محمد عبد الرؤوف المناوي (ت1390هـ) ، تح : د. محمد رضوان الداية ، ط1 دار الفكر - بيروت ، دمشق1410 : 1/299 ، آداب البحث والمناظرة : للشيخ محمد الأمين الشنقيطي ، ط الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة : 3.

3- ينظر : المغرب في ترتيب المعرب : لأبي الفتح ناصر الخوارزمي المطرزي (ت610هـ) ، تح. محمود فاخوري وعبد الحميد مختار ، ط 1 مكتبة أسامة بن زيد – حلب / سورية 1979م : مادة: (جدل) : 1/ 135 ، لسان العرب : مادة: (جدل) : 11/ 103 ، المزهر في علوم اللغة وأنواعها : جلال الدّين السّيوطي (ت911هـ) ، تح . فؤاد علي منصور ، ط1 دار الكتب العلمية - بيروت 1998م : 1/ 358 .

4- ينظر : تفسير الطبري ، والمسمَّى بـ(جامع البيان في تأويل آي القرآن) : للإمام ابن جرير الطبري(ت310هـ) ، تح. أحمد محمد شاكر ، ط1 مؤسسة الرسالة 1420هـ : 8/ 241 ، الكليات : لأبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري البغدادي(ت616هـ) ، ط بولاق - القاهرة 1281هـ : 145 ، التعريفات : 78 .

5- ينظر : الحوار (آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسّنّة) : د. يحيى بن محمد زمزمي ، ط 2 دار المعالي- عمّان 1422هـ - 2002م : 26 .

6- ينظر : التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) : فخر الدّين الرّازي (ت604هـ) ، ط1 دار الكتب العلميّة- بيروت 1411هـ-1990م : 9/ 489 ، التفسير القيّم : محمد بن أبي بكر بن أيوب ، والمشهور بـ(ابن قيّم الجوزيّة ت751هـ) ، جمع : النّدوي ، تح. محمد الفقي ، ط دار الكتب العلميّة- بيروت : 344 .

7- ينظر : الحوار (آدابه وضوابطه) : 44 .

8- إحياء علوم الدين : لأبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي (ت 505هـ) ، ط دار المعرفة – بيروت : 1/ 44 .

9- ينظر : الحوار (آدابه وضوابطه) : 45 .

10- الجواب الصّحيح لمن بدّل دين المسيح : أحمد بن عبد الحليم بن تيميّة الحرّاني (ت728هـ) ، ط المدني - السّعوديّة : 1/ 76 .

11- ينظر : الحوار (آدابه وضوابطه) : 71 .

12- ينظر : أسلوب المحاورة في القرآن الكريم : د. عبد الحليم حفني ، ط2 الهيئة المصرية العامة للكتاب 1985م : 29 ، أدب الحوار والمناظرة : د. علي جريشة ، ط2 دار الوفاء 1412هـ - 1991م : 101 .

13- درء تعارض العقل والنقل : للإمام ابن تيميَّة (ت728هـ) ، تح. محمد رشاد ، ط دار الكنوز - الرياض 1391هـ : 7 / 173 - 174 .

14- ينظر : أسلوب المحاورة : 30 .

15- ينظر : تفسير الثعالبي ، والمسمَّى: بـ(الجواهر الحسان في تفسير القرآن) : عبد الرحمن بن محمد الثعالبي (ت875هـ) ، ط مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت: 2/ 71 .

16- ينظر : في أصول الحوار : إعداد النّدوة العالمية للشباب الإسلامي ، ط3 جدة 1408هـ- 1988م : 57- 58.

17- ينظر : تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : محمد بن عمر الزمخشري (ت538هـ) ، ط دار إحياء التراث العربي/ بيروت 1417هـ - 1997م : 2/ 108 ، تفسير النسفي (مدار التنزيل وحقائق التأويل) : لأبي البركات عبد الله بن أحمد النسفي (ت710هـ) ، ط1 دار الكتب العلميّة- بيروت 1415هـ - 1995م : 2/ 374.

18- ينظر : تفسير ابي السّعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم) : لأبي السّعود محمد بن محمد العمادي (ت982هـ) ، ط دار إحياء التراث العربي- بيروت : 3/ 188 ، فتح القدير الجامع بين فني الرّواية والدّراية من علم التفسير : محمد بن علي الشوكاني (ت1250هـ) ، ط1 دار الخير- بيروت1991م : 2/ 239، 4/ 661.

19- ينظر : أسلوب المحاورة : 53.

20- ينظر : تفسير النسفي : 2/ 369 ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : لأبي الثناء محمود بن عبد الله الآلوسي (ت1270هـ) ، ط دار إحياء التراث العربي - بيروت : 22/ 141.

21- صحيح مسلم : لمسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت261هـ) ، تح. محمد فؤاد عبد الباقي ، ط دار إحياء التراث العربي –بيروت : باب : (فضل الرّفق) ، رقم الحديث: (2592) : 4/ 2003 ، سنن ابي داود : لأبي داود سليمان بن الأشعث السِّجستاني الأزدي (ت275هـ) ، تح. محمد محيي الدّين عبد الحميد ، والأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها ، ط دار الفكر : باب : (في الرّفق) برقم : (4809) : 2/ 670 ، سنن ابن ماجه : محمد بن يزيد بن ماجه القزويني (ت273هـ) تح. محمد فؤاد عبد الباقي ، والأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها ، ط دار الفكر – بيروت : باب: (الرّفق) برقم: (3687) : 2/ 1216 .. وعن الأخيرين ، قال عنهما الشيخ الألباني : صحيحين . وكذلك أخرجه أحمد في مسنده : أحمد بن حنبل الشيباني (ت 241هـ) ، والأحاديث مذيلة بأحكام شعيب الأرنؤوط عليها ، ط مؤسسة قرطبة – القاهرة : رقم الحديث : (19272) : 4/ 366 . وقال عنه الشيخ شعيب الأرنؤوط : (إسناده صحيح على شرط مسلم).

22- ينظر: أسلوب المحاورة : 31- 38 ، أدب الحوار والمناظرة : 67- 68 ، في أصول الحوار: 74.

23- ينظر : التفسير الكبير : 10/ 415 ، الحوار (آدابه وضوابطه) : 236- 246.

24- ينظر : الحوار (آدابه وضوابطه) : 117- 130.

25- ينظر : تفسير الكبير : 10/ 415 ، الحوار (آدابه وضوابطه) : 236- 246.

26- ينظر : آداب الحوار في القرآن الكريم : 16- 59 ، آداب البحث والمناظرة : 76 ، الحوار (آدابه وضوابطه) : 115- 510.

27- ينظر : الكشاف : 2/ 300 ، الجامع لأحكام القرآن : محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت671هـ) ، ط دار الشعب – القاهرة : 9/ 119.

28- ينظر : أصول التربية الإسلاميّة : 201.

29- ينظر : المرجع نفسه ، مناهج الجدل في القرآن الكريم : د. زاهر عواض الألمعي ، ط الفرزدق التجارية : 81.

30- ينظر : أصول التربية الإسلاميّة : 203 - 205.

31- ينظر : الجامع لأحكام القرآن : 1 / 72 ، فتح القدير : 4 / 390.

32- ينظر : أصول التربية الإسلاميّة : 198.

33- ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري : أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت 852هـ) ، ط دار المعرفة – بيروت 1379هـ : 1/436 ، شرح النووي (المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج) : لأبي زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي (ت676هـ) ، ط2 دار إحياء التراث العربي – بيروت 1392هـ : 3/ 55 ، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي : محمد عبد

الرّحمن المباركفوري (ت1353هـ) ط دار الكتب العلميّة – بيروت : 5/ 136 .

34- ينظر : تفسير الطبري : 23/ 630 .

35- المصدر نفسه : 23/ 323 .

36- الجامع لأحكام القرآن : 18/ 40 .

37- ينظر : مختصر الشمائل المحمّديّة(للترمذي) : اختصار محمد ناصر الدين الألباني وتحقيقه ، ط المكتبة الإسلامية - عمان / الأردن : 8/ 228 .

38- صحيح البخاري : محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي (ت256هـ) ، تح. د. مصطفى البغا ، ط3 دار ابن كثير - بيروت1407هـ - 1987م : باب: (الهدية للمشركين) ، برقم: (2477) : 2/ 924 .

39- المصدر نفسه : باب : (صلة الوالد المشرك) ، برقم : (5633) : 5/ 2230 .

40- ينظر : مختصر الشمائل المحمدية : 8/ 227 .

41- ينظر: الحريّة الدينية في الإسلام : للشيخ عبد المتعال الصعيدي ، ط 2 دار الفكر العربي - مصر : 73 ، 88 .

42- ينظر : قصص الأنبياء : لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي (ت774هـ) ، تح . خالد شبل ، ط1 مؤسسة الكتب الثقافية- بيروت 1422هـ - 2001م : 111 .

43- ينظر : تفسير القرآن العظيم : للحافظ ابن كثير (774 هـ) ، تح . سامي سلامة ، ط2 دار طيبة 1420هـ- 1999 م : 3/ 292 ، تفسير السّعدي (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) : عبد الرحمن بن ناصر ابن السّعدي ، تح. ابن معلا اللويحق ، ط1مؤسسة الرسالة 1420هـ - 2000 م . : 262 .

44- تفسير النسفي : 1 / 373 .

45- ينظر : تفسير أبي السّعود :7/ 34 .

46- ينظر : تفسير النسفي : 1/ 418 .

47- ينظر : تفسير أبي السعود :3/ 155 ، روح المعاني : 7/ 207 .

48- ينظر : الحوار (آدابه وضوابطه) : 296.

49- ينظر : تفسير الثعالبي : 2/ 343 ، استخراج الجدال من القرآن الكريم : ناصح الدين السّعدي العبادي، والمعروف بـ(ابن الحنبلي ت634هـ) ، تح . محمد صبحي حلاق ، ط1مؤسسة الرّيان - بيروت 1413هـ - 1992م : 49 .

50- ينظر : التفسير الكبير : 10/ 73 .

51- ينظر : تفسير البيضاوي (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) : ناصر الدّين عبد الله البيضاوي (ت791هـ) ، ط1 دار الكتب العلميّة- بيروت 1988م .: 2/ 97 ، تفسير القرآن العظيم : 3/ 235 .

52- ينظر : معاني القرآن الكريم : لأبي أحمد المرادي المصري النحاس (ت338هـ) ، تح. محمد الصابوني ، ط1 جامعة أمّ القرى- مكة المكرمة 1409هـ : 47/3 ، زاد المسير في علم التفسير : عبد الرحمن بن علي بن الجوزي (ت597هـ) ، ط3 المكتب الإسلامي - بيروت 1404هـ.: 3/ 223 ، تفسير النسفي : 1/ 374 .

53- الكشاف : 2 / 245 .

54- ينظر : تفسير السّعدي : 292 .

55- ينظر : تفسير اللباب : 7/ 405 ، التحرير والتنوير : محمد الطاهر بن عاشور ، ط دار سحنون - تونس : 8/ 163- 164 .

56- ينظر: استخراج الجدال : 63 .

57- ينظر : تفسير البغوي (معالم التنزيل) : لأبي محمد حسين بن بن مسعود البغوي(ت516هـ) ، تح. محمد النمر وغيره ، ط4 دار طيبة 1417هـ : 3/ 145 ، تفسير النسفي : 2 / 19 .

58- ينظر : زاد المسير : 5/ 373 ، فتح القدير :2/ 507 .

59- ينظر : قصص الأنبياء : 65 .

60- ينظر : أسلوب المحاورة : 41 .

61- ينظر : تفسير السّعدي : 293 .

62- ينظر : تفسير القرآن : عبد الرزاق بن همام الحميري الصّنعاني (ت211هـ) ، تح. د. مصطفى مسلم ، ط1 مكتبة الرشد- الرياض 1410هـ : 2/ 230 ، تفسير الطبري : 12/ 225 .

63- ينظر : تفسير البيضاوي : 2/ 165 .

64- ينظر : الجامع لأحكام القرآن : 13/ 5 .

65- ينظر : تفسير الطبري : 19/ 240 .

66- ينظر : تفسير البيضاوي : 2/ 165 .

67- ينظر : في ظلال القرآن : سيد قطب ، ط1 دار الشروق - مصر 1419هـ - 1998م : 1042.

68- ينظر : وسطية الإسلام وسماحته : د. وهبه بن مصطفى الزحيلي ، ط وزارة التعليم العالي – جامعة محمد بن سعود الإسلامية – السعودية 1425هـ - 2004م : 53 .

69- ينظر : في ظلال القرآن : 2368 ، تفسير السعدي : 533 .

70- ينظر : في ظلال القرآن : 2409 ، تفسير السعدي : 533 – 534 .

71- في ظلال القرآن : 2410 .

72- التفسير الكبير : 13/ 114 .

73- ينظر : تفسير البغوي : 5/ 98 ، في ظلال القرآن : 2233 .

74- ينظر: تفسير الطبري: 14/ 464 ، في ظلال القرآن: 2233 ، تفسير السعدي : 460 .

75- ينظر : تفسير السعدي : 722 .

76- ينظر : تفسير الطبري : 17/ 167 .

77- ينظر : حوار الأنبياء مع أقوامهم في القرآن الكريم : د. عبده عبد الله الحميدي ، ط1مكتبة الإرشاد - صنعاء 1424هـ - 2003م : 39- 40.

78- ينظر : تفسير الطبري : 21/ 298 ، في ظلال القرآن : 3055 .

79- ينظر : تفسير اللباب : 4/ 484 ، تفسير السّعدي : 560 .

80- ينظر : أزمة الفكر السياسي الإسلامي في العصر الحديث (مظاهرها ، أسبابها ، علاجها) : د. عبد الحميد متولي ، ط 2 الإسكندرية 1975م : 136.

81- ينظر : الحوار من أجل التعايش : د . عبد العزيز بن عثمان التويجري ، ط دار الشروق - القاهرة 1998م : 14- 16 .

Research Abstract

This research aims to know the affection and place of the dialogue with the other (polytheists) and its relationship with Holy Qur'an which confirms that it is a necessary mean and a civil step by which the real principles have been dedicated. While this study clarifies that the basic methodical of the Qur'anic dialogue comes from the different reality among the mankind and what it needs from freedom for everybody and call them to acknowledge and respect the other and not to laugh at him or defame in him whereof he must be accepted as he is. This can be done through the exchange of views and similarity of treating or reciprocity in order to reach the top aim of the dialogue. That is the agreement on a base from which the starting point begins and to achieve the expected aim or purpose and it is the entrance of disbelieves or polytheists into Islam and obviousness of this true religion's forgiveness and tolerance.